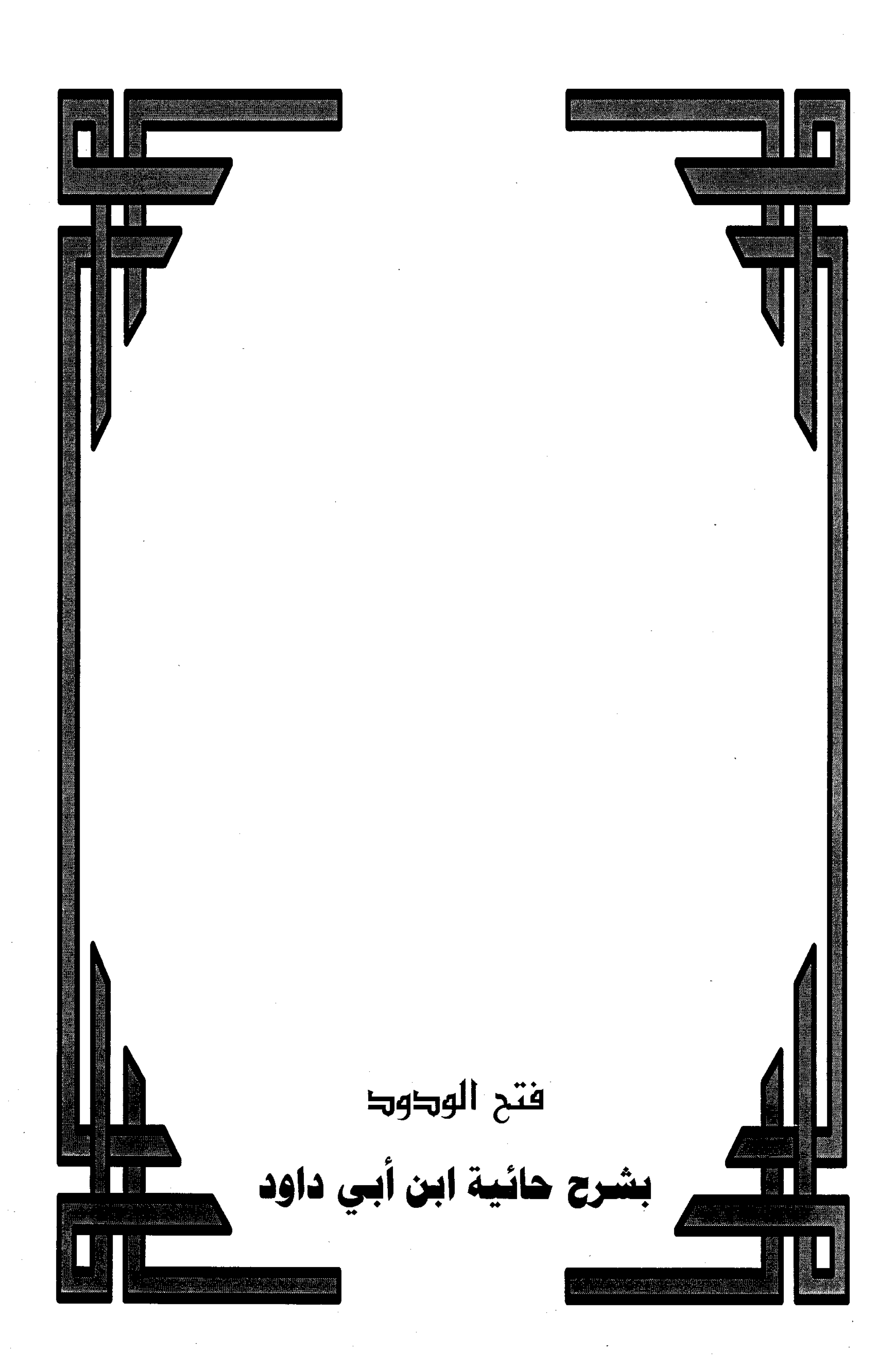
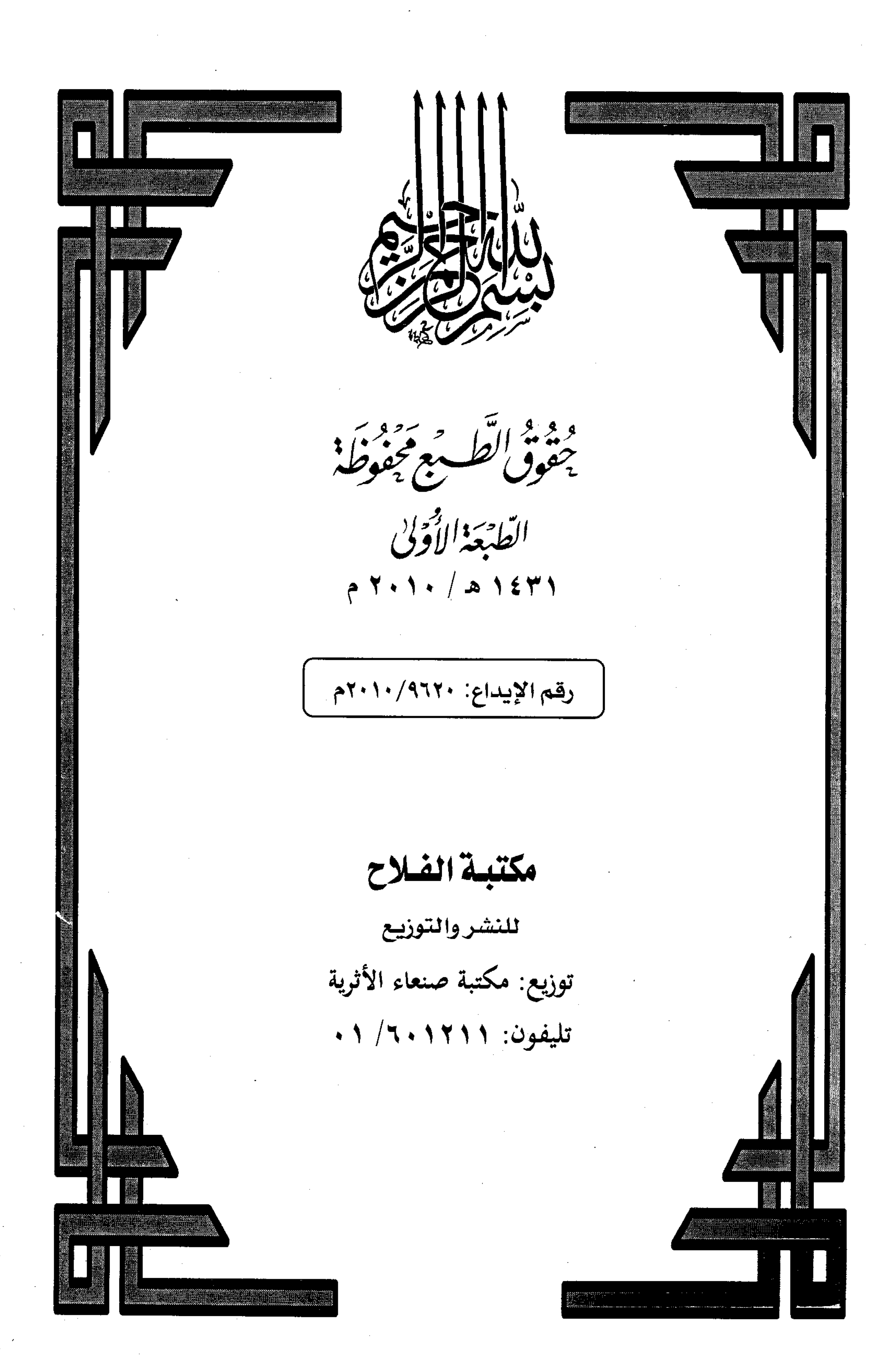

فتح الودود
بشرح
حائية أبي داود
شرح الشيخ
عبد الرزاق بن صالح بن علي النهمي
مكتبة الفلاح



فتح الودود

بشرح حائية ابن أبي داود



الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

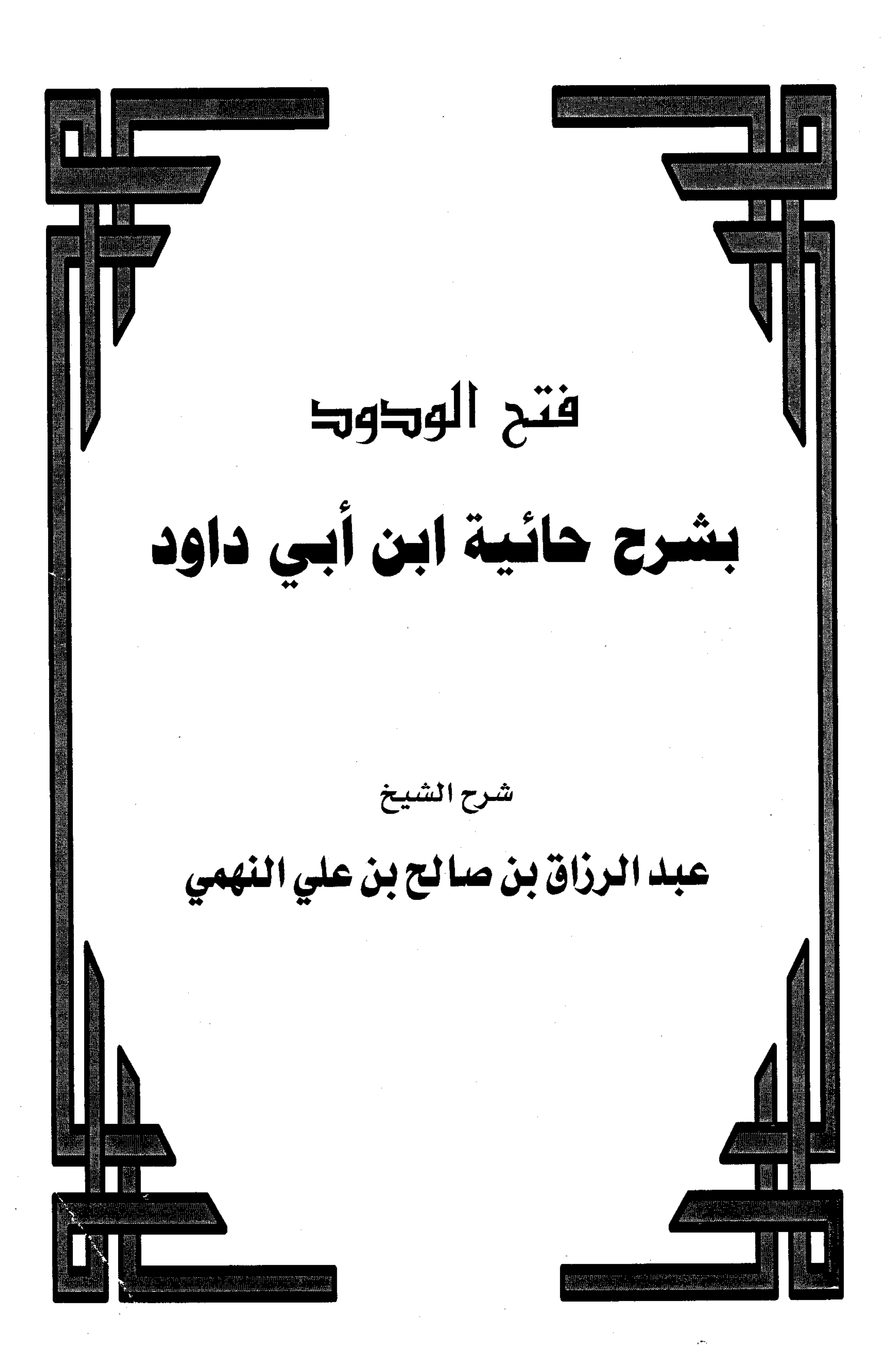
رقم الإيداع: ٢٠١٠/٩٦٢٠م

مكتبة الفلاح

للنشر والتوزيع

توزيع: مكتبة صنعاء الأثرية

تليفون: ٠١ /٦٠١٢١١



فتح الودود

بشرح حائية ابن أبي داود

شرح الشيخ

عبد الرزاق بن صالح بن علي النهمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الشَّيْخِ يَحْيَى بنُ عَلِيٍّ الحَجُورِي

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فقد طالعت في شرح أخينا الشيخ الفاضل عبدالرزاق النهمي حفظه الله على "حائية أبي بكر بن أبي داود" رحمه الله، واسمه عبدالله بن سليمان بن الأشعث، فرأيت ما طالعته من الشرح المذكور شرحًا مفيدًا.

جزى الله الشيخ أبابكر النهمي خيرًا، وزاده من فضله.

كتبه

يحيى بن علي الحجوري

٢٣ شوال ١٤٣٨ هـ

مُقَدِّمَةُ الْـمُؤَلِّف

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فقد يسر الله عز وجل أن درست إخواني طلبة العلم بمركز السنة بذمار "شرح حائية الإمام أبي بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ" ثم رأيت أن أُخرج هذا الشرح، لعل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به.

وقد أسميته "فتح الودود بشرح حائية ابن أبي داود" هذا وأسأل الله سبحانه أن يرزقنا الصدق والإخلاص، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

أبو بكر عبدالرزاق بن صالح بن علي النهمي (٢٧/ربيع الثاني/١٤٣٠) من هجرة النبي ﷺ

اليمن/ ذمار/ مركز السنة

كَلِمَةُ شُكْرٍ

قال الإمام أبوداود رَحِمَهُ اللهُ في "سننه": حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**».

فبعد شكر الله سبحانه وتعالى الذي منّ علينا فأفضل، وأعطانا فأجزل، أشكر الأخوة الأفاضل الذين تعاونوا معي بكتابة هذه الرسالة على الكمبيوتر، ومراجعتها، وتصحيح الأخطاء الإملائية.

وأشكر الأخ الفاضل أبا فلاح صاحب مكتبة الفلاح، الذي سعى في رص هذا الكتاب ونشره، فجزاهم الله خيرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

تَرْجَمَةُ النَّاظِمِ رَحِمَهُ اللهُ

اسمه ونسبه وكنيته:

هو الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد: عبدالله بن سليمان بن الأشعث أبوبكر السجستاني.

مولده:

ولد بسجستان في سنة ثلاثين ومائتين.

نشأته ورحلته لطلب العلم:

رحل به أبوه من سجستان يطوف به شرقًا وغربًا، وسمعه من علماء ذلك الوقت، فسمع بخراسان، والجبال، وأصبهان، وفارس، والبصرة، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والشام، ومصر، والجزيرة، والثغور، واستوطن بغداد.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في "السير" (١٣/ ٢٢٢): وسافر به أبوه وهو صبي، فكان يقول: رأيت جنازة إسحاق بن راهويه.

قلت: وكانت في سنة ثمان وثلاثين ومائتين في شعبان، فأول شيخ سمع منه محمد بن أسلم الطوسي، وسُرَّ أبوه بذلك لجلالة محمد بن أسلم.اهـ

مشايخه:

روى عن أبيه، وأحمد بن صالح، وأبي الطاهر بن السرح، وعلي بن خشرم، ومحمد بن بشار، ونصر بن علي، وأبي سعيد الأشج، وهارون بن سعيد الأيلي،

وإسحاق الكوسج، وعمرو بن علي الفلاس، والحسن بن محمد الزعفراني، والحسن بن عرفة، ومحمد بن يحيى الذهلي، وخلق كثير سواهم.

تلاميذه:

حدث عنه خلق كثير منهم: ابن حبان، وأبوأحمد الحاكم، وأبوعمر بن حيويه، وابن المظفر، وأبوحفص بن شاهين، وأبوالحسن الدارقطني، وعيسى بن علي الوزير، وابن المقرئ، وأبوالقاسم بن حبابه، وأبوطاهر المخلص، ومحمد بن عمر بن زنبور الوراق، وأبومسلم محمد بن أحمد الكاتب وآخرون.

منزلته العلمية وثناء أهل العلم عليه:

قال الحافظ أبومحمد الخلال: كان ابن أبي داوود إمام أهل العراق، ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو.

وقال الخليلي: حافظ إمام وقته عالم متفق عليه.

وقال أبوحفص بن شاهين: أملى علينا ابن أبي داوود سنين، وما رأيت بيده كتابه إنما كان يملي حفظًا، فكان يقعد على المنبر بعدما عمي ويقعد دونه بدرجة ابنه أبومعمر -بيده كتاب-، فيقول له حديث كذا فيسرده من حفظه، حتى يأتي على المجلس.

وقال الخطيب البغدادي: كان فقيهًا عالمًا حافظًا. كما في "تاريخ بغداد" (٩/ ٤٧١).

وقال الذهبي في "السير" (١٣/ ٢٢١): الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد.

وقال: كان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضله على أبيه.

وقال: الرجل فمن كبار علماء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ رحمه الله تعالى.

وقال الذهبي: أيضًا كما في "مختصر العلو للعلي الغفار" (ص٢٢٩): كان أبوبكر من الحفاظ المبرزين، ما هو بدون أبيه، صنف التصانيف وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد. اهـ

عقيدته:

كان رحمه الله على عقيدة السلف الصالح أهل الحديث رحمهم الله، يدل على ذلك هذه المنظومة المباركة التي قرر فيها عقيدته.

زهده وعبادته وعفته:

قال محمد بن عبدالله بن الشخير: كان ابن أبي داوود زاهدًا ناسكًا.

وقال الذهبي: وكان رئيسًا عزيز النفس مدلًا بنفسه سامحه الله.

قال أبوحفص بن شاهين: أراد الوزير علي بن عيسى أن يصلح بين ابن أبي داوود وابن صاعد، فجمعهما، وحضر أبوعمر القاضي، فقال الوزير: يا أبابكر، أبومحمد أكبر منك، فلو قمت إليه، فقال: لا افعل.

فقال الوزير: أنت شيخ زيف، فقال: الشيخ الزيف الكذاب على رسول الله ﷺ، فقال الوزير: من الكذاب؟، قال: هذا، ثم قام وقال: تتوهم أني أذل لك لأجل رزقي، وإنه يصل إلى على يدك، والله لا أخذ من يدك شيئًا، قال: فكان الخليفة المقتدر يزن ذلك رزقه بيده ويبعث به في طبق على يد الخادم.

مصنفاته:

له مصنفات كثيرة منها: "المسند"، و"السنن"، و"التفسير"، و"البعث"، و"المصاحف"، "القراءات"، و"الناسخ والمنسوخ"، وغيرها.

قال فيه الذهبي: صاحب التصانيف.

مما نسب إليه ولم يصح عنه:

١) نُسب إليه أن أباه قال: ابني عبدالله كذاب، كما في "الكامل" لابن عدي (٥/ ٤٣٦).

وهذه التهمة فندها المعلمي رحمه الله في كتاب "التنكيل" (١/ ٢٩٨) فقال: الداهري وابن كركرة لم أجد لهما ذكرًا في غير هذا الموضع، وقول ابن صاعد: كفانا ما قال أبوه فيه. إن أراد هذه الكلمة فإن كانت بلغته بهذا السند فلا نعلمه ثابتًا، وإن كان مستندًا أخر فما هو؟ وإن أراد كلمة أخرى فما هي؟!.اهـ

وقد شكك الحافظ الذهبي في صحة هذه النسبة فقال في "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٢٣١): لعل قول أبيه فيه إن صح أراد الكذب في لهجته لا في الحديث؛ فإنه حجة فيما ينقله، أو كان يكذب ويورى في كلامه، ومن زعم أنه لا يكذب أبدًا فهو أرعن، نسأل السلامة من عثرة الشباب، ثم إنه شاخ وارعوى ولزم الصدق والتقى.اهـ

و أما ما ذُكر عن إبراهيم الأصبهاني أنه قال في ابن أبي داوود: كذاب، فلم يصح عن ابن الأصبهاني هذا التكذيب كما قال المعلمي في "التنكيل" (١/ ٣٠٩): لا يتبين ثبوت هذه الكلمة عن ابن الأصبهاني ... إلخ

٢) ونُسب إليه شيء من النصب، وهو نصب العداء لأهل البيت، وهذا لم يصح عنه.

قال أحمد بن يوسف الأزرق: سمعت أبابكر بن أبي داوود يقول: كل الناس مني في حل إلا من رماني ببغض علي رضي الله عنه. "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٢٢٩)، و"تاريخ بغداد" (٩/ ٤٧٤).

ويرد هذه الفرية قوله في "قصيدته الحائية" في الثناء على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ذكر أبي بكر و عمر وعثمان رضي الله عنهم:

ورابعهم خير البرية بعدهم ... علي حليف الخير بالخير يمنح

وقد ذب الحافظ الذهبي عن الإمام أبي بكر بن أبي داوود فقال في "الميزان" (٢/ ٤٣٦): وما ذكرته إلا لأنزهه.

وكذا ذب عنه ابن عدي في "الكامل" (٥/ ٤٣٧) قال: وأبوبكر بن أبي داوود لولا شرطنا أول الكتاب أن كل من تكلم فيه متكلم ذكرته في كتابي هذا، وابن أبي داوود قد تكلم فيه أبوه وإبراهيم الأصبهاني، ونسب في الابتداء إلى شيء من النصب، ونفاه ابن الفرات من بغداد إلى واسط، ورده علي بن عيسى، وحدث وأظهر فضائل علي، ثم تحنبل فصار شيخًا فيهم، وهو مصروف بالباطل، وعلمه ما كتب مع أبيه أبي داوود، ودخل مصر والشام وخراسان وهو مقبول عند أصحاب الحديث، وأما كلام أبيه فيه فلا أدري أيش تبين له منه. اهـ

قلت: وقد تقدم أنه لم يثبت عن أبيه أنه كذبه، وأما ابن الأصبهاني فلم تثبت عنه هذه الكلمة.

وفاته:

توفي يوم الأحد لاثنتي عشرة بقيت من ذي الحجة من سنة ست عشرة وثلاثة مائة، وعاش سبعًا وثمانون سنة، وصُلي عليه ثمانين مرة، وصلى عليه نحو من ثلاث مائة ألف إنسان وأكثر، ودفن في مقبرة باب البستان، وخلف ثلاث بنين، عبدالأعلى ومحمدًا وأبامعمر عبيدالله، وخمس بنات.

انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٢٢١- ٢٣٧)، و"تاريخ بغداد" (٩/ ٤٧١)، و"تذكرة الحافظ" (٢/ ٧٦٨) وغيرها.

إِثْبَاتُ حَائِيَّةِ الإِمَامِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوودَ إِلَيْهِ

القصيدة ثابتة إليه فقد رواها الآجري في "الشريعة" عقب أثر رقم (٢٠٧٥) فقال: أملى علينا أبوبكر بن أبي داوود في مسجد الرصافة في يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان، سنة تسع وثلاثمائة، فقال: ... ثم ذكرها.

ورواها الذهبي كما في "مختصر العلو للعلي الغفار" (ص٢٢٨) فقال: أخبرنا أحمد بن عبدالحميد، أنبأنا محمد بن قدامة سنة ثماني عشرة وستمائة، أخبرتنا فاطمة بنت علي، أنبأنا علي بن بيان، أنبأنا الحسين بن علي الطناحيري، أنبأنا أبوحفص بن شاهين قال: قال شيخنا أبوبكر عبدالله بن سليمان هذه القصيدة، وجعلها محسنة، فذكرها.

ثم قال الذهبي: هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجري وصنف لها شرحًا، وأبوعبدالله ابن بطة في "الإبانة".

قال ابن أبي داوود: هذا قولي، وقول أبي، وقول شيوخنا، وقول العلماء، فممن لم نرهم كما بلغتنا عنهم، فمن قال غير ذلك فقد كذب. اهـ

وأخرجها ابن أبي يعلى في "طبقات الحنابلة" (٢/ ٥٣) فقال: أنبأنا علي المحدث، عن عبدالله الفقيه قال: أنشدنا أبوبكر أبي داوود من حفظه لنفسه فذكرها ...

وإلى القصيدة:

مَتْنُ الحَائِيَّةِ

قال الإمام أبوبكر ابن أبي داود رحمه الله:

تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَلِيكِنا ... بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا

وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقًا قرأتُهُ ... فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ

وَقُلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرةً ... كَمَا البَدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَلَيسَ بمولُودٍ ولَيسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيسَ لَهُ شِبْهٌ تَعالَى المُسَبَّحُ

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أيضًا يَمِينَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلا كَيْفَ جَلَّ الواحِدُ المتَمَدِّحُ

إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ

يَقُولُ إلا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأَمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهم ... ألا خَابَ قَومٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا

وَقُلْ إنَّ خَيرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيراهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ أرْجَحُ

وَرابِعُهُم خَيرُ البرِيَّةِ بَعْدَهُم ... عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ بالخَيرِ مُنْجِحُ

وإنَّهُمُ و الرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيهِمُ ... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ

سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ ... وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ ... ولا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

فَقَدْ نطَقَ الوَحْيُ المُبينُ بِفَضْلِهِمْ ... وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ

وبِالقَدَرِ المقْدُورِ أيْقِنْ فإنَّهُ ... دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ

وَلا تُنْكِرَنْ جهلًا نكِيرًا ومُنْكَرًا ... وَلا الحَوضَ والمِيزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ

وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ ... مِنَ النارِ أجْسادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيا بِمَائِهِ ... كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إذْ جَاءَ يَطْفَحُ

فَإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلْقِ شَافِعٌ ... وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ

ولا تُكْفِّرَنَّ أهلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَوا ... فكلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصْفَحُ

ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ إنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ ... ألا إنَّمَا المُرجيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ

وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ ... وِفعْلٌ عَلَى قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ

ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي وَتَارةً ... بطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزنِ يَرْجَحُ

وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم ... فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أزكى وَأَشْرَحُ

وَلا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم ... فَتَطْعنَ في أهلِ الحَدَيثِ وتَقْدَحُ

إذا مَا اعتقَدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه ... فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لعَلَّكَ تُفْلِحُ

يحث الناظم رحمه الله على التمسك بالكتاب والسنة، والتمسك هو الأخذ بالشيء والاعتصام به، فهو يحث على الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد أمر الله عز وجل بالتمسك بالقرآن الكريم والاعتصام به، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وحبل الله هو القرآن، وقيل: الدين.

وقال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ** ﴾ [الأعراف:١٧٠]، وقال تعالى: ﴿ **فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الزخرف:٤٣].

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخذ بالقرآن والتمسك به، فقد أخرج الإمام مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أولهما كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. الحديث.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ...، ثم أثنى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، كما هو مكتوب فيه، فقال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ** ﴾ [الأعراف:١٧٠]، أي: اعتصموا به، واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره، ﴿**وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا**

﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٧٠]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:٤٣].

قال رحمه الله، أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك؛ فإنه هو الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم. اهـ

وقوله: واتبع الهدى.

أي: اتبع السنة، واتباع السنة هداية، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]، ويقول رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»، وفي رواية: «**فقد اهتدى**» أخرجه أحمد في "المسند" (٦٩٥٨) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

والهدى والهداية بمعنى واحد، وهي تنقسم إلى قسمين: هداية التوفيق والإلهام، وهداية الدلالة والإرشاد، أما هداية التوفيق والإلهام فهذه خاصة بالله عزوجل؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

فالهداية التي نفاها الله عن نبيه ﷺ هي هداية التوفيق والإلهام.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في "فتح المجيد" عند شرح قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]: والمنفى هنا هداية التوفيق والقبول، فإن أمر ذلك إلى الله، وهو القادر عليه، وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]؛ فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبين عن الله، والدال على دينه وشرعه.اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في "القول المفيد على كتاب التوحيد" (١/ ٣٤٨-٣٤٩): والهداية التي نفاها الله عن رسوله ﷺ هداية التوفيق، والتي أثبتها له هداية الدلالة والإرشاد؛ ولهذا أتت مطلقة لبيان أن الذي بيده هو هداية الدلالة فقط، لا أن يجعله مهتديًا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، فلم يخصص سبحانه فلانًا وفلانًا؛ ليبين أن المراد: أنك تهدي هداية دلالة، فأنت تفتح الطريق أمام الناس فقط، وتبين لهم وترشدهم، وأما إدخال الناس في الهداية، فهذا أمر ليس إلى الرسول ﷺ، إنما هو مما تفرد الله به سبحانه.

فنحن علينا أن نبين وندعوا، وأما هداية التوفيق (أي أن الإنسان يهتدي)، فهذا إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا هو الجمع بين الآيتين.اهـ

والدليل على هداية الدلالة والارشاد قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

والناظم رحمه الله تعالى يحث على التمسك بالكتاب والسنة، ويشير إلى أنهما مصدر التلقي، وقد أمر الله بالأخذ بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وأمر الله بالرجوع عند الاختلاف إلى الكتاب والسنة، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠]، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء:٥٩]، أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر.اهـ

قوله: ولاتك بدعيًا لعلك تفلح.

يحذر الناظم رحمه الله من البدع ومن أهلها، أي: احذر أن تكون مبتدعًا، وقد كان النبي ﷺ يحذر من البدع في كل خُطبة، فيقول: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». أخرجه مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، برقم (٨٦٧).

وفي رواية النسائي (١٥٧٧): «**وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»، وجاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عند أبي داود (٤٦٠٧) قوله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وكان عليه الصلاة والسلام يحذر أيضًا من أهل البدع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»(١).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(٢).

وحذر النبي ﷺ من الخوارج، فقال فيهم: «الخَوَارِجُ هُمْ كِلَابُ النَّارِ»(٣).

وقد أمر الله سبحانه بالبعد عن أهل الباطل والاعراض عنهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

قال ابن عون رحمه الله: كان محمد بن سيرين رحمه الله يرى أن أسرع الناس ردة أهل الاهواء، وكان يرى أن هذه الآية أنزلت فيهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

---

(١) "صحيح مسلم" برقم (٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم(٢٦٦٥).

(٣)أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٢) عن سعيد بن جهمان، وهو حديث صحيح ذكره شيخنا الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله في "تفسيره": وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة، والفسقة عند خوضهم في باطلهم.اهـ

والآثار عن السلف في التحذير من البدع كثيرة جدًّا.

قوله: لعلك تفلح.

أي: إذا اعتصمت بالكتاب والسنة، وابتعدت عن البدع وأهلها، فأبشر بالفلاح؛ فإن من اعتصم بالكتاب والسنة ففلاحه متحقق إن شاء الله، والفلاح هو الظفر بخيري الدنيا والآخرة، ولا يفلح الإنسان إلا إذا تمسك بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة١-٥].

والدليل على أن التمسك بالسنة أيضًا فلاح: حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»، أخرجه أحمد في "المسند" (٦٩٥٨).

النَّجَاةُ وَالرِّبْحُ فِي التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ الَتِي   أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

قوله: ودن بكتاب الله.

(دِنْ) هو فعل أمر، من دان يدين دينًا، ومعناه التعبد، أي: أقم دينك على كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله: والسنن التي أتت عن رسول الله.

السنن: جمع سنة، وهي في اللغة: الطريقة، وفي الاصطلاح: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قولٍ، أو فعلٍ، أوتقريرٍ، أو صفةٍ خَلقية أو خُلقية.

والناظم يحث على الأخذ بما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويشير إلى الأخذ بما ثبت من الأحاديث الصحيحة الثابتة التي أتت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سواء كانت آحادًا، أو متواترةً، وسواء كانت في العقيدة أو غيرها، فالأخذ بها والعمل بها واجب؛ مادامت ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وخلاصة هذا البيت هو: أن الناظم رحمه الله يحث على التمسك بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

قوله: تنجو وتربح.

أي: إذا اعتصمت يا أيها المسلم بالكتاب والسنة فأبشر بالنجاة من كل سوء ومكروه، وأبشر بالربح العظيم، والنجاة رأس المال، والربح زيادة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

قال ابن عباس في هذه الآية: فلا يضل في الدنيا، ولايشقى في الآخرة.

قال ابن كثير رحمه الله - في قوله تعالى ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ -: أي: من أقبل على ما أنزلت به الكتب، وأرسلت به الرسل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، أي فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، على ما فاتهم من أمور الدنيا. اهـ

صِفَةُ الْكَلام

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَقُــلْ غَــيْرُ مَخْلُــوقٍ كَــلامُ مَلِيكِنَــا بِـــذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَـــاءُ وأَفْـــصَحُوا

قوله: وقل غير مخلوق كلام مليكنا.

بَيَّنَ الناظمُ رحمه الله أن كلام الله غير مخلوق، فقال: (وقل غير مخلوق كلام مليكنا)، أي: اعتقد بقلبك، ناطقًا بلسانك أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقد جاءت الأدلة تدل على إثبات صفة كلام الله عز وجل، وأنه صفة من صفاته سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [المائدة: ١١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وقال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال سبحانه: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال عز وجل: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

ومن الأدلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق: قول الله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فقد فرق بين الخلق والأمر، والقرآن من أمره كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

قال سفيان بن عيينة وقد سُئل عن القرآن: أمخلوق هو؟ فقال: يقول الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، إلا ترى كيف فرق بين الخلق والأمر، فالأمر كلامه فلو كان مخلوقًا لم يفرق. رواه الآجري في "الشريعة" رقم (١٧١)، والطبري في "السنة" (٣٥٨).

ومن الأدلة على أن القرآن غير مخلوق: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال بن أبي حاتم: حدثنا أبي، سمعت بعض أهل العلم يقول: قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الكهف: ١٠٩]، يدل على أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقًا لكان له قدر وكانت له عناية، ولنفد كنفاد المخلوقين، وتلا قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾. اهـ "الفتح" (١٣/ ٤٤٥).

ومن الأدلة على أن القرآن غير مخلوق: قول النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله -نقلًا عن الخطابي-: كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق. اهـ

"الفتح" تحت حديث ابن عباس رضي الله عنهما برقم (٣٣٧١).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في "الواسطية" (١/ ١٦): ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره.اهـ

فقوله: (منه بدأ)، أي: أن الله هو الذي تكلم به ابتداءً، لم يبتدأ من غيره، وليس كما يقولون: إنه بدأ من جبريل، أو من اللوح، أو من الهواء. إنما بدايته من الله، وسمعه جبريل، وبلغه إلى النبي ﷺ وحيًا، والنبي ﷺ بلغه للناس، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة:١٣]، وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:٢].

ومعنى قوله: (وإليه يعود)، أي: يعود إليه في آخر الزمان، كما في حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ».

أخرجه ابن ماجة (١/ ١٣٤٤)، وهو صحيح ذكره الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيحة" (٨٧)، وشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيح المسند" في مسند حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقيل: يعود إلى الله وصفًا، أي أنه لايوصف به أحد سوى الله؛ فيكون المتكلم هو الله عز وجل وهو الموصوف به.

وقد ساق اللالكائي القولَ بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق عن خمسمائة وخمسين نفسًا.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: هؤلاء خمس مائة وخمسون نفسًا أو أكثر، من التابعين، وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين، سوى الصحابة الخيرين، على اختلاف الأعصار، ومضي

السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة.اهـ «شرح اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٣٢٤).

وقولهُ: بذلك دان الأتقياء وأُفصحوا.

أي: بهذا المعتقد الصحيح الحق من كلام الله عز وجل دانوا، واعتقدوا، وآمنوا، فهذه هي عقيدة الأتقياء أهل السنة والجماعة، وأفصحوا، أي: صرحوا بهذا.

القُرْآنُ كَلامُ اللهِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَلا تَـكُ فِي القُـرْآنِ بِـالوَقْفِ قَـائِلًا   كَـمَا قَـالَ أَتْبَـاعٌ لِجَهْـمٍ وَأَسْـجَحُوا

يحذر الناظم رحمه الله من مذهب الواقفة، وهم فرقة من فرق الجهمية؛ فإنه لما ظهرت بدعة القول بخلق القرآن انقسمت الجهمية إلى ثلاث فرق:

١) فرقة صرحت بأن القرآن مخلوق.

٢) وفرقة قالت: نحن نقول: القرآن كلام الله ونسكت، ولا نقول: إنه غير مخلوق. وتوقفوا؛ فسموا بالواقفة.

وهذه الفرقة -أي: فرقة الواقفة- حكم عليهم أهل العلم أنهم أهل الشك في دينهم، وأنهم شر من الجهمية؛ فإن الوقوف في هذا الموطن في غاية البطلان؛ ولذلك صرَّح أهلُ السنة رحمهم الله أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبينوا العبارات الموهومة التي يستغلها أهل البدع لترويج باطلهم، وأمروا بالتصريح بالعبارات الواضحة الصريحة التي ليس فيها أدنى شك، وليس فيها احتمال معانٍ أخرى.

ولما كانت الواقفة عندهم هذا الشك والريب، ولم يصرحوا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، فقد حذر منهم علماء السلف، وعرفوا مكرهم، وبينوا أنهم جهمية استخدموا التَّقِيَّة.

قال الآجري في "الشريعة" (٢/ ٥٢٦-٥٢٧): [باب ذكر النهي عن مذاهب الواقفة]، قال محمد بن الحسين: وأما الذين قالوا: (القرآن كلام الله عز وجل)، ووقفوا فيه، وقالوا: (لا نقول غير مخلوق)؛ فهؤلاء عند كثير من العلماء - ممن رد على

من قال بخلق القرآن، قالوا: هؤلاء الواقفة - مثل من قال: القرآن مخلوق وأشر؛ لأنهم شكوا في دينهم، ونعوذ بالله ممن يشك في كلام الله عز وجل أنه غير مخلوق، وأنا أذكر ما تأدى إلينا منه ممن أنكر على الواقفة من أهل العلم:

حدثنا أبومخلد، قال: حدثنا أبوداود السجستاني، قال: سمعت أحمد بن حنبل سُئل: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله تعالى، ثم يسكت؟ فقال: وَلِمَ يسكت؟ ولولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون؟[١]

قال محمد بن الحسين: معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى: يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله عز وجل، فلما جاء جهم فأحدث الكفر بقوله: (إن القرآن مخلوق) لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق بلا شك ولا توقف فيه، فمن لم يقل: (غير مخلوق) سُمِّي واقفيًّا شاكًّا في دينه.

وعن أبي داود قال: سمعت أحمد - وذكر رجلين كانا وقفا في القرآن ودَعَوَا إليه، فجعل يدعو عليهما - وقال لي: هؤلاء فتنة عظيمة. وجعل يذكرهما بالمكروه.

قال أبوداود: رأيت أحمد سلَّم عليه رجلٌ من أهل بغداد ممن وقف فيما بلغني، فقال له: (أغرب، لا أراك تجيء إلى بابي) في كلام غليظ، ولم يرد عليه السلام، وقال له: (ما أحوجك أن يُصنع بك كما صنع عمر بن الخطاب بصبيغ)، ودخل بيته ورد الباب.[٢]

وعن أبي وداود قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: من قال: (لا أقول القرآن غير مخلوق)؛ فهو جهمي.[٣]

---

(١) الأثر صحيح، وهو في "الشريعة" برقم (١٨٧).
(٢) الأثر صحيح، وهو في "الشريعة" برقم (١٨٨).
(٣) الأثر صحيح، وهو في "الشريعة" برقم (١٨٩).

وعن أبي داود قال: وسمعت قتيبة بن سعيد، وقيل له: الواقفة؟ فقال: هؤلاء الواقفة شر منهم. يعني ممن قال: القرآن مخلوق.[1]

وعن أبي داود قال: سمعت عثمان بن أبي شيبة قال: هؤلاء الذين يقولون: (القرآن كلام الله عز وجل) ويسكتون، شر من هؤلاء. يعني ممن قال: القرآن مخلوق.[2]

وعن أبي داود قال: سمعت أحمد بن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن مقاتل العباداني - وكان من خيار المسلمين- يقول في الواقفة: هم عندي شر من الجهمية.

حدثنا أبوطالب قال: سألت أباعبدالله عمَّنْ أَمْسَكَ فقال: (لا أقول ليس هو مخلوقًا) إذا لقيني بالطريق وسلم عليَّ أسلم عليه؟ قال: لا تسلم عليه، ولا تكلمه، كيف تعرفه الناس إذا سلمت عليه؟ وكيف يعرف هو أنك منكر عليه؟ فإذا لم تسلم عليه؛ عرف الذل، وعرف أنك أنكرت عليه، وعرفه الناس.اهـ[3]

فحاصل هذا: أن الواقفة من أتباع الجهم كما أشار إليه الناظم رَحِمَهُ اللهُ.

والجهم هو ابن صفوان ترجمه الذهبي في "الميزان" (١/ ٤٢٦)، فقال: جهم بن صفوان أبومحرز السمرقندي، الضال، المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئًا، لكنه زرع شرًّا عظيمًا.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في "السير" (٦/ ٢٦): الكاتب، المتكلم، رأس الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، كتب للأمير حارث بن سريع التميمي، وكان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في الأمكنة

---

(١) الأثر صحيح، وهو في "الشريعة" برقم (١٨٩).

(٢) الأثر صحيح، وهو في "الشريعة" برقم (١٩٠).

(٣) الأثر صحيح، وهو في "الشريعة" برقم (١٩١).

كلها. قال ابن حزم: كان يخالف مقاتلًا في التجسيم، وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب وإن تلفظ بالكفر. قيل: إن أسلم بن أحوز قتل الجهم؛ لإنكاره أن الله كلم موسى.اهـ

قال ابن حجر رحمه الله في "لسان الميزان": وكان قتل جهم بن صفوان سنة ثمان وعشرين، وسببه أنه كان يقضي في عسكر الحارث بن شريح الخارج على أُمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فقال له: استبقني. فقال: لو ملأت هذا الملا كواكب، وأنزلت إليَّ عيسى ابن مريم، ما نجوت، والله، لو كنت في بطني؛ لشققت بطني حتى أقتلك، ولا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت، وأمر بقتله، وكان جهم من موالي بني راسب، وكتب للحارث.اهـ

وقد أخذ الجهم بدعته عن الجعد بن درهم، كما ذكره ابن كثير في "البداية" (٩/ ٤٠٥).

فقال رحمه الله: وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر الرسول ﷺ عن يهودي باليمن، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الخزري، وقيل: الترمذي. وقد أقام ببلخ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران، حتى نُفي إلى ترمذ، ثم قُتل الجهم بأصبهان، وقيل: بمرو. قتله نائبها سلم بن أحوز ﷺ، وجزاه عن المسلمين خيرًا.اهـ

بُطْلانُ قَوْلِ مَنْ قَالَ لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوق

قال الناظم رحمه الله تعالى:

ولا تَقُـــلِ القُـــرآنُ خَلقًـــا قرآتُـــهُ　　　فـــإنَّ كَـــلامَ الله بـــاللفْظِ يُوضَـــحُ

قوله: ولا تقل.

أي: لا تقل: (قراءتي بالقرآن مخلوقة)، أو (لفظي بالقرآن مخلوق)؛ فإن هذا القول باطل؛ لأنه يحتمل معنيين:

المعنى الأول: يحتمل أن الملفوظ به مخلوق. وهذا باطل غاية البطلان؛ فإن القرآن كلام الله غير مخلوق.

والمعنى الثاني: يحتمل أن الصوت مخلوق. وهذا لا شك فيه؛ فإن صوت العبد، وحركة لسانه وشفته مخلوقة، فلما كانت هذه اللفظة تحتمل أمرين، إما حق وإما باطل، حذر السلف رحمهم الله من هذه اللفظة، وهي كلمة (**لفظي بالقرآن مخلوق**)؛ لأنه كما ذكرنا يحتمل أمرين؛ ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله: من قال: (**لفظي بالقرآن مخلوق**)؛ فهو جهمي، ومن قال: (**لفظي بالقرآن غير مخلوق**)؛ فهو مبتدع.[1]

فالإمام أحمد حكم على من قال: (**لفظي بالقران مخلوق**) أنه جهمي؛ لأن الجهمية يقولون: إن القرآن مخلوق. ثم لجأ بعضهم إلى هذه الحيلة، وهي قولهم: (**ألفاظنا بالقرآن مخلوقة**) وهم يريدون القرآن؛ فَسُمُّوا باللفظية، وهم فرقه من الجهمية؛ لذلك قال الإمام أحمد: (اللفظية جهمية).

(١) "السنة" لعبدالله بن أحمد (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ...، وهكذا أنكر الأئمة قول من قال: (لفظى بالقرآن مخلوق) أو (غير مخلوق)، وقالوا: من قال: (هو مخلوق)؛ فهو جهمي، ومن قال: (غير مخلوق)؛ فهو مبتدع.

وكذلك قالوا فى التلاوة والقراءة؛ لأن اللفظ، والتلاوة، والقراءة يراد بها المصدر الذي هو فعل العبد، وأفعال العباد مخلوقة، فمن جعل شيئًا من أفعالهم وأصواتهم وغير ذلك من صفاتهم غير مخلوق؛ فهو مبتدع، ويراد باللفظ نفس الملفوظ، كما يراد بالتلاوة والقراءة نفس الكلام، وهو القرآن نفسه، ومن قال: كلام الله الذى أنزله على نبيه ﷺ، وقرأه المسلمون مخلوق، فهو جهمى.اهـ[1]

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: من قال: (**لفظي بالقرآن مخلوق**) أو (**القران بلفظي مخلوق**)؛ فهو جهمي.[2]

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجري رحمه الله في "الشريعة": احذروا رحمكم الله تعالى هؤلاء الذين يقولون: (**لفظي بالقرآن مخلوق**) هذا عند أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته منكرٌ عظيم، وقائل هذا مبتدع يجتنب، ولا يكلم، ولا يجالس، ويحذر منه الناس، لا يعرف العلماء غير ما تقدم ذكرنا له، وهو أن القرآن كلام الله عزوجل غير مخلوق. ومن قال: (**مخلوق**)؛ فقد كفر، ومن قال: (القرآن كلام الله عز وجل)، ووقف؛ فهو جهمي، ومن قال: (**لفظي بالقرآن مخلوق**)؛ فهو جهمي، كذا قال أحمد ابن حنبل، غلظ فيه القول جدًّا، وكذلك من قال: (**لفظي بالقرآن مخلوق**)؛ فقد ابتدع، وجاء بما لا يعرفه العلماء، كذلك قال: وغلظ القول فيه أحمد بن حنبل جدًّا،

---

(١) "الفتاوى" (١٢/ ١٦٦).

(٢) "شرح أصول السنة" للالكائي رقم(٥٩٩).

وكذلك من قال: (**إن هذا القرآن الذي يقرؤه الناس وهو في المصاحف حكاية لما في اللوح المحفوظ**)؛ فهذا قول منكر تنكره العلماء.اهـ

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله هذه المسالة في "شرح العقيدة الواسطية"، فقال: وقد قال الإمام أحمد: من قال: (**لفظي بالقرآن مخلوق**)؛ فهو جهمي، ومن قال: (**غير مخلوق**)؛ فهو مبتدع، فنقول: اللفظ يطلق على معنيين: على المصدر الذي هو فعل الفاعل، وعلى الملفوظ به.

أما على المعنى الأول الذي هو المصدر، فلا شك أن ألفاظنا بالقرآن وغير القرآن مخلوقة؛ لأننا إذا قلنا: إن اللفظ هو التلفظ. فهذا الصوت الخارج من حركة الفم، واللسان، والشفتين مخلوق، فإذا أُريد باللفظ التلفظ؛ فهو مخلوق، سواء كان الملفوظ به قرآنًا، أوحديثًا، أو كلامًا أحدثته من عندك.

أما إذا قصد باللفظ الملفوظ به، فهذا منه مخلوق ومنه غير مخلوق، وعليه إذا كان الملفوظ به فهذا منه مخلوق ومنه غير مخلوق، وعليه إذا كان الملفوظ به هو القرآن؛ فليس بمخلوق، هذا تفصيل القول في هذه المسألة. لكن الإمام أحمد رحمه الله قال: من قال: (**لفظي بالقرآن مخلوق**)؛ فهو جهمي، قال ذلك لأحد احتمالين:

إِمَّا أن هذا القول من شعار الجهمية، كان الإمام أحمد يقول: إذا سمعت الرجل يقول: (**لفظي بالقرآن مخلوق**)؛، فأعلم أنه جهمي.

وإما أن يكون حين نفسه فسره قال: من قال: (**لفظي بالقرآن مخلوق**)، يريد القرآن؛ فهو جهمي. وحينئذ يتضح معنى قوله: من قال: (**لفظي بالقرآن مخلوق**)؛ فهو جهمي؛ لأنه أراد الملفوظ به، ولا شك أن الذي يريد باللفظ هنا: (الملفوظ به)؛

جهمي. أما من قال: (**غير مخلوق**) فالإمام أحمد يقول: مبتدع؛ لأن هذا ما عهد عند السلف، وما كانوا يقولون مثل هذا القول، يقولون: القرآن كلام الله فقط.اهـ[(١)]

قلت: فخلاصة القول أن القرآن كلام الله حيث تصرف، سواء كان محفوظًا في الصدور، أو متلوًّا بالألسنة، أو مكتوبًا في المصاحف، فلا يخرج بذلك عن أن يكون كلامه، وهو منزل غير مخلوق.

وأما كتابة العباد، وأصواتهم، والورق الذي كتب عليه القرآن، والمداد الذي كتب به؛ فهذه كلها مخلوقة؛ فإن جميع ما يرجع إلى ذوات العباد وأوصافهم مخلوق، وأما الذي يرجع إلى الله تعالى، ويضاف إليه؛ فإنه كلامه غير مخلوق، وهذا هو الفرق واضح شرعًا وعقلًا.[(٢)]

وقوله: فإن كلام الله باللفظ يوضح.

أي: إن القرآن كلام الله، ألفاظه ومعانيه، ليس كلام الله اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ، وإنما اللفظ يوضح به المعنى، ويبين به المراد، والله أعلم.

---

(١) "شرح العقيده الواسطية" (٢/ ٩٥). ط دار ابن الجوزي.

(٢) "الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية" للسلمان (٢٣٣).

رؤية الله عزّ وجلّ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَقُــلْ يَــتَجلَّى اللهُ للخَلْــقِ جَهْــرةً ... كَــمَا البــدْرُ لا يَخْفَــى وَربُّــكَ أَوْضَــحُ

يقرر الناظم رحمه الله في هذا البيت إثبات رؤية الله، وأن الله عز وجل يتجلى، أي: يظهر للخلق عيانًا جهارًا، ليس بين الله وبينهم ما يحجبهم.

قوله: كما البدر.

أي: كالقمر ليلة النصف، وهي ليلى الرابع عشر، والكاف هنا للتشبيه، و(ما) زائدة.

ومن الأدلة على رؤية المؤمنيين ربهم عز وجل:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣-٣٥].

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

وأخبر الله أن الكفار لا يرونه، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرالآية: أي: لهم يوم القيامة منزل، ونزل سجين، ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم. قال الإمام أبوعبدالله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وكما دلت على ذلك الأحاديث

الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنات الفاخرة.اهـ

والزيادة في قوله تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦]، وقوله: ﴿**لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ [ق:٣٥]، هي: النظر إلى الله، كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨١) عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ؟ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ**».

وجاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟**» قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**» أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم(١٨٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**» أخرجه البخاري برقم (٤٨٧٨)، ومسلم برقم (١٨٠)، ومن أدلة الرؤية ما ثبت عن فضالة بين عبيد رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الدعوات: «**اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة**» أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" رقم (٤٣٦)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" لشيخنا مقبل رحمه الله.

تَنْزِيْهُ الله سُبْحَانَهُ عَنِ الشَّبِيْهِ وَالْـمَثِيْلِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَلَيْسَ بمولودٍ وليس بِوَالِدِ   وَلَيسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ

في هذا البيت يبين المؤلف رحمه الله أن الله سبحانه وتعالى لا سمي له، أي: لانظير له يستحق مثل اسمه، كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥]، أي: لا أحد يساميه أو يماثله، ولا كفو له والمكافئ هو المماثل، أي لامثل له، كما قال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص:٤]، ولا ندّ له والند هو الشبيه والنظير، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

فربنا سبحانه وتعالى لا يشابهه شيء، ولا يماثله شيء، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

وفي هذه الآية رد على طائفتين ضالتين:

الطائفة الأولى: الممثلة الذين غلو في إثبات الصفات، أثبتوا الصفات، لكنهم غلوا فيها حتى مثلوا صفات الله بصفات خلقه.

والطائفة الثانية: المعطلة، وهم الذين نفوا صفات الله، فهم نزهوا اللهَ بزعمهم، فغلوا في التنـزيه حتى نفوا صفات الله تعالى.

وهذه الآية جمعت بين إثبات الصفات لله ونفي التمثيل عنها، وقد جمع الله سبحانه وتعالى فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات في [سورة الإخلاص] التي تعدل ثلث القرآن، فقال عزَّ مِنْ قَائل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۞ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾.

فهذه السورة العظيمة سميت [سورة الاخلاص]؛ لأنها أخلصت في صفات الله، فهي مخلَصة - بفتح اللام - لأن الله أخلصها لنفسه؛ ولأنها تخلص قارئها من الشرك، وهي تعدل ثلث القرآن، ففي "البخاري" (٥٠١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ».

وفي "مسلم" (٨١١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه بلفظ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ القُرْآنِ، قَالَ: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ».

فهي تعدل ثلث القرآن؛ لأن معاني القرآن ثلاثة أنواع:

١) توحيد. ٢) وقصص. ٣) وأحكام.

فهذه السورة فيها صفة الرحمن، فهي في التوحيد وحده، فصارت تعدل ثلث القرآن، وقد أشار اليها الناظم بقوله:

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى المُسَبَّحُ

ومعنى المُسبَّح، أي المنزه عن كل نقص وعيب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في "الواسطية": فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.اهـ

قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام:١٠٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي تقدس وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون، من الأولاد والأنداد والنظراء والشركاء. اهـ [تفسير سورة الانعام/ آية: ١٠٠].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

وقال عز شأنه: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۞ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيرهذه الآية: ...، ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها، فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾، أي: هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى، ﴿عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾، أي: تعاليًا كبيرًا، بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

يقول الله سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤].

يقول تعالى: تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات، وتنزهه، وتعظمه، وتبجله، وتكبره، عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته.

ففـــي كـــل شيء لـــه آيـــة تـــدل عـــلى أنـــه واحـــد

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرَةً ... كَمَا البَدْرُ لا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وخلاصة القول في هذا البيت: أن الناظم رحمه الله، لما أثبت رؤية المؤمنين لربهم عزوجل، أراد أن يبين أن الله عزوجل يُرى رؤية حقيقية، وأنه لاشبيه له، ولا نظير له سبحانه وتعالى، فتشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لاتشبيه المرئي بالمرئي[1].

فمعنى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ ليلة البَدْر»، أي: كرؤيتكم هذا القمر، فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي.

---

(١) "شرح العقيدة الطحاوية" (١٩٥).

إِنْكَارُ الْجَهْمِيَّةِ رُؤْيَةَ الله عَزَّ وَجَلَّ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

يخبر الناظم رحمه الله أن الجهمية أنكروا الرؤية، والجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان الضال المبتدع، وممن أنكر الرؤية أيضًا المعتزلة، وهم أتباع واصل بن عطاء الغزال، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري؛ فسموا بالمعتزلة.

ولهم شُبَهٌ في إنكار الرؤية، قالوا: إن اثبات الرؤية يلزم إثبات أن الله في جهة، ولو كان في جهة؛ لكان جسمًا، والله منزه عن ذلك.

والجواب عن هذه الشبهة: أن نقول: لفظ (الجهة) فيه إجمال؛ فإن أريد بالجهة أنه حالٌّ في شيء من مخلوقاته؛ فهذا باطل، والأدلة ترده، وهذا لا يلزم من إثبات الرؤية، وإن أريد بالجهة أنه سبحانه فوق مخلوقاته؛ فهذا ثابت لله سبحانه، ونفيه باطل، وهو لا يتنافى مع رؤيته سبحانه[1]، واحتجوا بقوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، والرد عليهم من وجوه:

أولا: إن سؤال موسى الرؤية يدل على إمكانها؛ إذ أنها لو كانت ممتنعة لما طلبها موسى أصلًا، وموسى عليه السلام هو كليم الله، وهو أعلم الناس بربه في وقته؛ وَلَمَا سأل ما لا يجوز عليه أن يسال.

ثانيًا: إن الله لم ينكر على موسى سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦].

(١) "شرح العقيدة الواسطية" للفوزان(٩٨).

ثالثًا: قال له ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، ولم يقل: إني لا أُرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو لست بمرئي.

رابعًا: قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣]، فعلق الرؤية على استقرار الجبل، وهو أمر ممكن في نفسه، والمعلق على الممكن ممكن؛ لأن معنى التعليق الإخبار بوقوع المعلق عند وقوع المعلق به، والمحال لا يثبت على شيء من التقادير الممكنة.

خامسًا: قوله ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣]، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته.

سادسًا: وأما قولهم (إن لن تفيد التأبيد)، أي: لتأبيد النفي، وأنها تدل على عدم وقوع الرؤية أصلًا، فهو كذب على اللغة العربية، وقد قال الله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة:٩٥]، أي: الموت، ثم قالوا: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، فأخبر عن عدم تمنيهم للموت بـ(لن)، ثم أخبر عن تمنيهم له وهم في النار، ولو كانت تفيد التأبيد؛ لما حسن ذكر لفظ الأبد بعدها، ولو كانت أيضًا تفيد التأبيد المطلق؛ لما جاز تحديد الفعل بعدها، مثل ماجاء في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ [يوسف:٨٠].

فثبت أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد، قال ابن مالك رحمه الله في "ألفيته":

ومن رأى النفي بلن مؤبدًا　　فقوله اردد وسواه فاعضدا

واما إفادة التأبيد في قوله: ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ [الحج:٧٣]، وأمثالها فليس مما أفادته (لن)، وإنما هو لدليل آخر.

قال الهراس رحمه الله في "شرح الواسطية": فمعنى قوله ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾: لن تستطيع رؤيتي في الدنيا؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته سبحانه، ولو كانت الرؤية ممتنعة لقال: إني لا أُرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، ونحو ذلك، والله أعلم.اهـ

قلت: وهذ يوافق ما قاله النبي ﷺ: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**» رواه مسلم(٤/ ٢٢٤٥) عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

ومن شبه المنكرين للرؤية: أنهم احتجوا بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

والجواب: إن الإدراك هو الإحاطة، ونفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، فالمراد أن الأبصار تراه ولكن لا تحيط به رؤية، كما قال الله عز وجل عن جمع موسى وفرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١].

فتبين بهذا أن نفي الإدراك لا ينفى الرؤية بل يثبتها بالمفهوم؛ فإنه لو أراد نفي الرؤية؛ لقال: لا تراه الأبصار، قال ابن القيم رحمه الله:

ويرونه سبحانه من فوقهم ... نظر العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ... ينكره إلا فاسد الإيمان

وأتى به القرآن تصريحًا وتعـ ... ـريضًا هما بسياقه نوعان

وهي الزيادة قد أتت في يونس ... تفسير من قد جاء بالقرآن[1]

وقد تكلف المعتزلة فقالوا في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فجعلوا ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى النعمة، والتقدير أي: منتظرة إلى ثواب ربها؛ فهو تأويل مضحك.[1]

(١) "الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية" (ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

فإن قوله ﴿نَّاضِرَةٌ﴾، أي: حَسَنَة، من النضارة، بالضاد وهي: الحُسن، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:١١]، أي: حسنًا في وجوههم، وسرورًا في قلوبهم.

قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: ﴿نَاظِرَةٌ﴾؛ بالظاء، من النظر، وهنا عدي النظر بـ(إلى) الدالة على الغاية، وهو نظر صادر من الوجوه، والنظر الصادر من الوجوه يكون بالعين، بخلاف النظر الصادر من القلوب؛ فإنه يكون بالبصيرة، والتدبر والتفكر، فهنا صُدر النظر من الوجوه إلى الرب عز وجل؛ لقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾.

فتفيد الآية الكريمة: أن هذه الوجوه الناضرة الحسنة تنظر إلى ربها عزوجل، فتزداد حُسنًا إلى حسنها.(٢)

وهنا فائدة: النظر في كتاب الله يأتي وله عدة معان:

✧ فإن عُدي بـ (إلى) أفاد المعاينة بالأبصار كما في هذه الآية.

✧ وإذا عُدي النظر بنفسه فمعناه التوقف والانتظار، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣]، أي: انتظرونا.

✧ وإذا عُدي النظر بـ(في) فمعناه التفكر والاعتبار، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٥]، أي: أو لم يتفكروا في مخلوقات الله العُلوية والسُفلية.(٣)

فهذا رد على شبهات المنكرين لرؤية الله عز وجل.

=(١) "شرح العقيدة الواسطية" للهراس" (ص ١٥٦ ـ ١٥٨) تحقيق السقاف.

(٢) "شرح العقيدة الواسطية" لشيخ ابن عثيمن رحمه الله (ص٣٨٠- ٣٨١).

(٣) "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" لابن القيم (ص ٢٩٢).

اِسْتِدْلالُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى رُؤْيَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ بِأَدِلَّةٍ صَحِيْحَةٍ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

رَواهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

أشار الناظم رحمه الله أن أهل السنة يستندون في إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى إلى حديث صحيح صريح يثبت رؤية الله عز وجل وهو حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم(٥٥٤)، فقال رحمه الله:

حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِالله قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً -يَعْنِي البَدْرَ- فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» ثُمَّ قَرَأَ: «﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾[ق:٣٩]» قَالَ إِسْمَاعِيلُ: افْعَلُوا، لَا تَفُوتَنَّكُمْ.

وأعاده البخاري برقم (٥٧٣)، و (٤٨٥١)، و (٧٤٣٤)، و(٧٤٣٥)، و(٧٤٣٦).

وأخرجه مسلم رحمه الله في "صحيحه" برقم (٦٣٣)، فقال رحمه الله:

و حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الفَزَارِيُّ، أَخْبَرَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِالله وَهُوَ يَقُولُ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ؛ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» -يَعْنِي العَصْرَ وَالفَجْرَ-، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ [طه: ١٣٠].

فهذا حديث صحيح صريح، سنده كالشمس، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في "حادي الأرواح" جمعًا كبيرًا أزيد من مائة رووه عن إسماعيل بن أبي خالد، وتابع إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم جمعٌ من الرواة، كلهم رووه عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

ثم قال ابن القيم رحمه الله: وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن أبي خالد، وشهد إسماعيل بن أبي خالد على قيس بن أبي حازم، وشهد قيس بن أبي حازم على جرير بن عبدالله، وشهد جرير بن عبدالله على رسول الله ﷺ، فكأنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقوله و يبلغه لأمته، و لا شيء أقر لأعينهم منه.اهـ[1]

فهذه هي العقيدة الصحيحة: الاعتقاد بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانًا بأبصارهم، كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته، أي: لا يحصل لهم ضيم ولا ضرر، وهي ألذ ما يُعطى المؤمنون عند ربهم، فاعتقد يأيها السني هذه العقيدة كي تنجح، وتفوز، وتسعد.

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

---

(١) انظر "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" لابن القيم (ص ٣٠٠).

صِفَةُ الْيَدَيْنِ وَإِنْكَارُ الْجَهْمِيَّةِ لَهَا

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أيضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

يبين الناظم رحمه الله أن الجهمية أنكروا صفة اليدين لله سبحانه وتعالى، وأهل السنة -ولله الحمد- يثبتون لله سبحانه وتعالى هذه الصفة، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، خلافًا للجهمية، والمعتزلة، والأشعرية.

وأما أهل السنة فيثبتون لله يدين تليقان بجلاله وكماله سبحانه، وكلتا يديه يمين.

وهاك الأدلة على إثبات هذه الصفة:

- قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤].

قال الهراس رحمه الله في "شرح الواسطية": تضمنت هاتان الايتان إثبات اليدين صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به، فهو في الآية الأولى يوبخ إبليس على امتناعه عن السجود لآدم الذي خلقه بيديه، ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة؛ فإن الأشياء جميعًا حتى إبليس، خلقها الله بقدرته، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها.اهـ

- وقال الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١].
- وقال سبحانه: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠].
- وقال جل شأنه: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣].

✧ وقال سبحانه: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

✧ وقال عز من قائل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

✧ قال الله سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وهناك أدلة أخرى كثيرة في إثبات صفة اليدين لله عز وجل.

ومن السنة في إثبات اليد لله سبحانه وتعالى:

١) ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة العظمى: أن أهل الموقف يأتون آدم فيقُولونَ: «يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ» أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

٢) وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ» أخرجه البخاري (٧٥١٦).

٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ...» أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢)، وهذا لفظه.

٤) وفي الحديث الآخر عند البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ...».

٥) وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» رواه مسلم (٢٧٦٠).

٦) وفي "مسلم" (١٨٢٧) عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا**».

٧) وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**» أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (١٧٨٧).

٨) وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**» أخرجه البخاري (٧٤٣٠) ومسلم (١٠١٤).

٩) وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ، أَوْ القَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**» أخرجه البخاري (٧٤١٩) وهذا لفظه، وأخرجه مسلم(٩٩٣)، والسح: هو الصب الدائم.

وأما الشمال فقد رواها الإمام مسلم في "صحيحه" (٢٧٨٨) من طريق عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ،**

أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٣٩-١٤٠): وذكرُ الشمال فيه تفرد عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيدالله بن مقسم عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبوهريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال.

وروي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرة، تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير، وبالآخر يزيد الرقاشي، وهما متروكان، وكيف يصح ذلك؟ وقد صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سمى كلتا يديه يمينًا، وكان من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين.اهـ

ونقل كلامه الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في "الفتح" (١٣/ ٤٨٦) تحت حديث رقم (٧٤١٢) مقرًّا له.

قلت: وعمر بن حمزة هو ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب العمري ضعيف كما في "التقريب".

هذا وقد أنكر المعطلة من الجهمية وغيرهم صفات الله سبحانه وتعالى، ومنها صفة اليدين كما أشار إليه الناظم رَحِمَهُ اللهُ في البيت بقوله:

وَقَدْ يُنكِرُ الْجَهْمِيُّ أيضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

وأوردوا شبهات في إثبات صفة اليدين لله سبحانه، وقالوا: إن المراد باليد القوة أو النعمة. وقد رد عليهم أهل السنة بردود قوية، منها ماقاله الهراس في "شرح العقيدة الواسطية"، قال: ...، فلفظ اليدين لم يعرف استعماله إلا في اليد الحقيقية، ولم

يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة؛ فإنه لا يسوغ أن يقال: خلقه الله بقدرتين. أو نعمتين. على أنه لا يجوز إطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرهما، إلا في حق منِ اتصف باليدين على الحقيقة؛ ولذلك لا يقال: للريح يد، ولا للماء يد.

وأما احتجاج المعطلة بأن اليد قد أُفردت في بعض الآيات، وقد جاءت بلفظ الجمع في بعضها، فلا دليل فيه؛ فإن ما يصنع بالاثنين قد ينسب إلى الواحد، تقول: رأيت بعيني، وسمعت بأذني. والمراد: عيناي، وأذناي.

وكذلك الجمع يأتي بمعنى المثنى أحيانًا، كقوله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا**﴾ [التحريم:٤]، والمراد: قلبكما، وكيف يتأتى حمل اليد على القدرة، أو النعمة مع ما ورد في إثبات الكف، والأصابع، واليمين، والقبض والبسط، وغير ذلك مما لا يكون إلا لليد الحقيقة.

وفي الآية الثانية يحكي الله سبحانه مقالة اليهود -قبحهم الله- في ربهم، ووصفهم أياه - حاشاه - بأن يده مغلولة، أي: ممسكة عن الإنفاق، ثم أثبت لنفسه سبحانه عكس ما قالوا، وهو أن يديه مبسوطتان بالعطاء، ينفق كيف يشاء، كما جاء في الحديث: «**إن يمين الله ملأى، سحاء الليل والنهار، لا يغيضها نفقه**» ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين؟! ألا شاهت وجوه المتأولين.اهـ(١)

وقد رد ابن القيم رحمه الله شبهات المنكرين لصفة اليدين لله سبحانه من عشرين وجهًا، نذكر بعضها:

١) أولًا: أن الأصل في الكلام الحقيقة، فدعوى المجاز مخالف للأصل.

---

(١) "شرح العقيدة الواسطية" (١١٦ ـ ١١٧) للهراس.

٢) ثانيًا: أن ذلك خلاف الظاهر، فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى.

٣) ثالثًا: أن إطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوع ذلك، وتعريف استعماله، يمنع المجاز، ألا ترى إلى قوله: ﴿**خَلَقْتُ بِيَدَىَّ**﴾ [ص:٧٥]، وقوله: ﴿**مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة:٦٤]، وقوله: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ [الزمر:٦٧]، فلو كان مجازًا في القدرة والنعمة؛ لم يستعمل منه لفظ يمين، وقوله في الحديث الصحيح: «**إِنَّ الـمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»[1]، فلا يقال: هذه يد النعمة والقدرة.

وقوله: «**يقبض الله سمواته بيده، والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك**» فهنا هزَّ، وقبض، وذكر يدين، ولما أخبر ﷺ جعل يقبض يديه، ويبسطها تحقيقًا للصفة، لا تشبيهًا لها.

٤) رابعًا: أن مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية، ولا يستعمل إلا مفردًا أو مجموعًا، كقوله: له عندي يد يجزيه الله بها، وله عندي أيادي. وماجاء لفظ التثنية لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقة.

٥) خامسًا: أنه ليس في المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية، بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿**أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة:١٦٥]، وكقوله: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم:٣٤]، وقد يجمع الله النعم، كقوله: ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ [لقمان:٢٠]، وأما أن يقول: خلقتك بقدرتين أو بنعمتين، فهذا لم يقع في كلامه، ولا كلام رسوله.

---

(١) تقدم.

٦) سادسًا: أنه لو ثبت استعمال ذلك بلفظ التثنية لم يجز أن يكون المراد به هنا القدرة؛ فإنه يبطل تخصيص آدم، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرة الله.

٧) سابعًا: إن هذا التركيب المذكور في قوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] يأبى حمل الكلام على القدرة؛ لأنه نسب الخلق إلى نفسه سبحانه، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثناها، ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على قوله: كتبت بالقلم، ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه....

إلى أن قال: وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات والنافون لها على أنه لا يجوز أن يكون لله قدرتان، فبطل ما قلتم.اهـ[1]

أي: بطل ما قلتم أيها المبتدعة.

والخلاصة: أن من من صفات الله الذاتية اليد، فنثبتها كما جاءت، لكن الجهمية أنكروها كما أنكروا صفة الوجه والقدم والعين ونحوها من صفات الله عز وجل، والسني يعيش في راحة، وفي حياة طيبة، يؤمن بأسماء الله وصفاته كما جاءت، يقرأ في التنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، ويقرأ في الإثبات ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

ورحم الله ابن القيم الجوزية الذي قال في "مقدمة الصواعق المرسلة": وأشهد إلا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الموصوف بصفات الجلال المنعوت بنعوت الكمال، المنزه عما يضاد كماله، من سَلْبِ حقائق أسمائه وصفاته المستلزم لوصفه بالنقائص، وشبه المخلوقين، فنفي حقائق أسمائه متضمن للتعطيل والتشبيه، وإثبات حقائقها على وجه الكمال الذي لا يستحقه سواه هو حقيقة التوحيد والتنزيه،

---

(١) انظر "مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (ص ١٥٣، ١٧٤)، و"شرح العقيدة الواسطية" للشيخ ابن عثيمن (ص ٢٥٦، ٢٥٩).

فالمعطل جاحد لكمال المعبود، والممثل مشبه له بالعبيد، والموحد مبين لحقائق أسمائه وكمال أوصافه، وذلك قطب رحى التوحيد، فالمعطل يعبد عدمًا، والممثل يعبد صنمًا، والموحد يعبد ربًّا، ليس كمثله شيء، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وسع كل شيء رحمة وعلمًا.اهـ

ويدخل تحت إثبات صفة اليد لله عز وجل إثبات الكف لله، والأصابع، والقبض والبسط، واليمين، والأخذ، والأنامل، والإمساك، والطي، والحث، وهذه الصفات لا تكون إلا لليد الحقيقية، مما يدل على إثبات صفة اليدين لله عز وجل، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ، حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ»** رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، وهذا لفظ مسلم، وليس في "البخاري" ذكر الكف.

✧ وإثبات الأصابع له سبحانه ورد في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»**، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»** رواه مسلم(٢٦٥٤). وحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَوْ يَا أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الحَبْرُ؛ تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: «﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ**

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الزمر:٦٧]» أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

✧ ودليل القبض قوله سبحانه في [سورة البقرة]: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر:٦٧]، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في أدلة اليمين.

✧ ودليل البسط الآية المتقدمة في [سورة البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤]، وحديث أبي موسى المتقدم: «**إن الله يبسط يده ...**»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم رقم (٧٥٨) في بعض طرق حديث النزول: «**ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم**».

✧ ودليل الأخذ ما رواه مسلم تحت رقم (٢٧٨٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول: «**يأخذ الجبار عز وجل سماواته وأرضيه بيديه**»، وفي حديث أبي هريرة المتقدم مرفوعًا: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ**».

✧ ودليل إثبات الأنامل حديث عبدالرحمن بن عائش الحضرمي، ومعاذ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «**رأيت ربي في أحسن صورة**»، وفيه: «**فرأيته وضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله في صدري...**» رواه الترمذي، وأحمد وغيرهما وهو صحيح.

وانظر كلام الحافظ ابن حجر عليه في "الإصابة" ترجمة عبدالرحمن بن عائش، والرؤية في الحديث منامية.

✧ ودليل الإمساك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١]، وفي حديث ابن مسعود السابق: «**إن الله يمسك السموات على إصبع...**».

✧ ودليل الطي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**ويطوي السماء بيمينه**»، وقد تقدم.

✧ ودليل الحثي حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ الفًا، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ الفٍ سَبْعُونَ الفًا، وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ**» رواه الترمذي(٢٤٣٧)، وابن ماجة (٤٢٨٦)، وأحمد(٥/ ٢٦٨)، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، وقد صححه الشيخ الألباني رحمه الله في "صحيح الترمذي" و"السنة لابن أبي عاصم" (٥٨٩).

ومعنى قول الناظم: (تنفح)، أي: تعطي، فالنفح هو العطاء الواسع الكثير.

صِفَةُ النُّزُولِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَقُـلْ يَنْـزِلُ الجَبَّـارُ في كُـلِّ لَيْلَـةٍ بِـلا كَيْـفَ جَـلَّ الواحِـدُ المتَمَـدِّحُ

أي: اعتقد أيها السني بهذه الصفة العظيمة لله سبحانه وتعالى، وهي صفة النزول إلى سماء الدنيا، وأن الله ينزل نزولًا يليق بجلاله وكماله، كما في الحديث: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**» أخرجه البخاري (١١٥٤)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرج أحمد في "مسنده" (٣٦٧٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ البَاقِي يَهْبِطُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ**»، وهو حديث صحيح، وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا رحمه الله.

وفي "مسلم" (٧٥٨) عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ، هَلْ مِنْ دَاعٍ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ**».

وعن رفاعة بن عرابة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثُ اللَّيْلِ، يَنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ،**

حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ» أخرجه أحمد(٤/ ١٦)، وهو صحيح، وصححه شيخنا رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١/ ٢٨١).

والأدلة كثيرة متواترة تدل على نزول الله تبارك وتعالى.

وقوله: الجبار.

يشير إلى أن من أسماء الله تعالى الجبار، قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الحشر:٢٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ**» رواه البخاري (٦٥٢٠).

ومعنى الجبار: هو الذي أجبر الخلق وقهرهم على ما أراد من أمر ونهي. انظر "جامع الأصول" (٤/ ١٧٧).

وقال قتادة: الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء. وقال ابن جرير: الجبار المصلح من أمور خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم.اهـ من "تفسير ابن كثير" عند تفسير الآية المذكورة.

وقوله: بلا كيف.

التكييف: هو أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بالكيف، وليس المراد من قوله (بلا كيف) أنهم ينفون الكيفية مطلقًا؛ فإن كل شيء لابد أن

يكون على كيفيةٍ مَّا، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه.(١)

فأهل السنة لا يكيفون، يعني: لا يقولون: صفة النزول كذا، أو صفة اليد كهذا، أو صفة الوجه كذا، وقد صح عن الإمام مالك أن رجلًا دخل عليه فقال: يا أباعبدالله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، فكيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا، فأمر به فأخرج. رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٦٦ و٨٦٧)، واللالكائي(٦٦٤).

وقولهُ: جلّ.

أي: عظم قدره عن التكييف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

وقولهُ: الواحد.

وهو اسم من أسماء الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤]، وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ»**.

أخرجه ابن ماجة (٣٧٨٩) وهو صحيح، وذكره شيخنا رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

ومعناه: قال السعدي: هو الذي توحد بجميع الكمالات، لا يشاركه فيها مشارك، ويجب على العبيد توحيده عقدًا وقولًا وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق.

---

(١) انظر "شرح العقيدة الواسطية" للهراس (٦٩).

وقال أيضًا عند قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، أي: الواحد في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله، فلا شبيه له في شيء من ذلك، ولا مماثل. اهـ

وقوله: المتمدح.

هي صفة للواحد، ومعناه: أي الذي يمدحه المؤمنون، ويمجدونه، ويثنون عليه سبحانه، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» كما في مسلم (٤٨٦) عن عائشة رضي الله عنها.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

إلى طَبَــقِ الــدُّنيا يَمُــنُّ بِفَـضْلِهِ فَتُفْــرَجُ أَبْــوابُ الــسَّماءِ وتُفْــتحُ

خلق الله عز وجل السموات سبعًا، وجعلها طبقة بعد طبقة، قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك:٣].

قال السعدي رحمه الله: أي كل واحدة فوق الأخرى، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان.اهـ

فالطبق هو الغطاء، والسماء غطاء للأرض، وسميت سماء الدنيا لدنوها من الأرض.

قوله: يمن بفضله.

أي: يعطي بفضله، فهو سبحانه يمن على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه إياهم، ويعطيهم عطاء كثيرًا جزلًا؛ ولذلك ثبت أن من أسمائه المنان، فقد أخرج ابن ماجة (٢/ ١٢٦٨) عن أنس بن مالك قال: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّـهُم إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، فَقَالَ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**».

وقوله: فتفرج أبواب السماء وتفتح.

أي: تنشق، وتنفتح، وقد جاءت أدلة على أن للسماء أبوابًا، وأنها تفتح، منها:

١) حديث ابن مسعود رضي الله عنه المتقدم: «ثم تفتح أبواب السماء»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ».[(١)]

٢) وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ؛ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ».[(٢)]

٣) وكذا حديث المعراج الذي أخرجه البخاري (٧٥١٧) عن أنس رضي الله عنه، وفيه: «لما عرج به جبريل عليه السلام، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابًا من أبوابها..» الحديث، ورواه مسلم (١٦٢)، وجاء عن مالك بن صعصعة عند البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

٤) وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل في فتنة القبر عندما تقبض الروح، وفيه: «حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيفتح لهم ...».[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٩) وهذا لفظه، ومسلم(١٠٧٩).

(٢) أخرجه مسلم(٦٠١).

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣/ ٣٨٠)، وذكره شيخنا في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يَقُولُ ألا مُستغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأَمْنَحُ

معنى هذا: أن الله سبحانه هو الذي يقول: هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، وليس كما يقول المعطلة: إن الذي يقول ذلك هو الملك. فهذا في غاية البطلان.

وقوله: ألا.

هي أداة تحضيض، ففيها الحث على الاستغفار، وجاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه الطويل عند مسلم (٢٥٧٧) عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...**» الحديث.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[(١)].

وقد جاءت أدلة في الحث على الاستغفار:

قال الله تعالى في شان نبيه نوح عليه السلام: ﴿**فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا**﴾ [نوح:١٠-١٢].

وقال سبحانه في شأن هود عليه السلام: ﴿**وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ**﴾ [هود:٥٢].

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٥٤٠)، وفي سنده كثير بن فائد، وهو مجهول الحال، لكن الحديث له شواهد فهو يصلح للاحتجاج.

فالاستغفار يعتبر تخليصًا من الذنوب، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥].

وقوله: يلق غافرا.

هو الله سبحانه وتعالى القائل عن نفسه: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر:٣].

والقائل سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠].

والقائل سبحانه: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾، أي: يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه.

وقوله: ومستمنح.

أي: من يطلب المنح وهو العطاء، ومنه قوله ﷺ: «**مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةَ وَرِقًا أَوْ ذَهَبًا، أَوْ سَقَى لَبَنًا، أَوْ أَهْدَى زِقَاقًا، فَهُوَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ**»[١] فالمنحه العطية.

قوله: خيرًا.

الخير: ضد الشر.

---

(١) أخرجه أحمد(٤/ ٣٠٤) والترمذي (٦/ ٩٠) وهو صحيح عن البراء بن عازب.

قولهُ: ورزقًا.

الرزق: هو العطاء، كما قال تعالى: ﴿فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [النساء:٨].

ويطلق الرزق على النصيب، قال تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، ويطلق الرزق على ما ينتفع به.

والرزق نوعان: ظاهرة للأبدان والأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم.(١)

وأعظم الرزق هو: العلم النافع، والعمل الصالح، أو رزق الهداية، قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قصيديته اللامية:

ياسائلي عن مذهبي وعقيدتي ... رزق الهدى من للهداية يسئل.

وقولهُ: فيمنح.

أي: فيعطى سؤله وحاجته، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠]، وقال في الحديث: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه (٢٥٧٧).

(١) "النهاية" لابن الأثير(٢/ ٥٠٨).

أَحَادِيثُ النُّزُولِ مُتَوَاتِرَةٌ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثَهم   ألا خَابَ قَومٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا

أي: روى أحاديث النزول أقوامٌ لا يرد حديثهم؛ لأنهم ثقات أثبات عدول، والعدل: هو المسلم العاقل البالغ الذي سلم من أسباب الفسق، وخوارم المروءة.

وأحاديث النزول متواترة، فقد قال اللالكائي في "السنة": سياق ما رُوي عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى، رواه عن النبي ﷺ عشرون نفسًا.[1]

ثم ساقها رحمه الله.

وقال الإمام الآجري رحمه الله في "الشريعة": وقد روى هذا الحديث عن النبي ﷺ جماعة كثيرة، بسنن ثابتة عند أهل العلم.[2]

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في "شرح حديث النزول" (ص٦٩): قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ، واتفق سلف الأمة، وأئمتها، وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول.اهـ

وقال الذهبي رحمه الله في "مختصر العلو" (ص١١٠): وأحاديث نزول الباري متواترة، قد سقت طرقها وتكلمت عليها بما أُسأل عنه يوم القيامة، فلا قوة إلابالله العلي العظيم.

وقال رحمه الله (ص١١٦): وقد ألفت أحاديث النزول في جزء، وذلك متواتر أقطع به.

---

(١) "أصول أهل السنة" للإمام اللالكائي في سياق ما روي عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى، قبل الأثر رقم(٧٤٢).

(٢) تحت أثر رقم (٦٩٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مختصر الصواعق المرسلة" (ص٢٢١): إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسًا من الصحابة.اهـ

والناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يشير إلى الرد على المعتزلة الذين يردون أحاديث الآحاد، فأراد أن يبين أن أحاديث النزول متواترة، ولا يمكن ردها أبدًا.

ثم إن مسألة تقسيم الأحاديث إلى متواتر وآحاد بدعة، أحدثها المبتدعة بقصد رد الأحاديث، ومن أولئك المبتدعة الجهمية والمعتزلة.

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "المقترح" (ص١٧٣): أما تقسيم الحديث إلى آحاد ومتواتر، فهو تقسيم مبتدع، وأول من ابتدع هذا هو عبدالرحمن بن كيسان الأصم الذي قال فيه بعضهم: وهو عن الحق أصم. وتبعه على ذلك تلميذه إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الشهير بابن علية. اهـ[١]

وينبغي أن يعلم أن خبر الواحد العدل عند أهل الحديث يوجب العلم والقبول له على ما تقتضيه من العمل وجوبًا واستحبابًا، والجهمية والمعتزلة أصحاب أهواء؛ فهم يأخذون ما يوافق أهواءهم، وما لم يوافق أهواءهم يردونه، بزعم أنه آحاد، أما أهل السنة فهم يقبلون من نقل إليه من الأخبار الصحيحة التي صحت، سواء في العقيدة أو الأحكام.

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في "الشريعة": باب الإيمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة.

---

(١) وانظر "تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب" (ص ٩٨) للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ: الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف؛ لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ، أن الله عزوجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة.

والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وكما قبل العلماء منهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث، يحذرونه ويحذرون منه.اهـ

ثم ساق بسنده عن عباد -يعني ابن العوام-: قدم علينا شريك واسطًا، فقلنا له: إن عندنا قوم ينكرون هذه الأحاديث «**إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا**» ونحوه، فقال شريك: إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاء بالسنن عن رسول الله ﷺ، الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وإنما عرفنا الله عزوجل بهذه الأحاديث.[1] والأثر صحيح.

وممن رد صفة نزول الله إلى سماء الدنيا الأشاعرة، والماتريدية.

وقوله: ألا خاب قوم كذبوهم.

أي: خسر، وحرم، ومنع الخير من كذب هؤلاء الرواة، الذين رووا ونقلوا صفة النزول عن النبي ﷺ.

وقوله: وقُبحوا.

أي: أُبعدوا عن الخير، وعن الفوز، وفي "مختار الصحاح": قبحه الله: نحاه عن الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص:٤٢] من المبعدين الملعونين.

(١) "الشريعة" للآجري عند الأثر رقم (٦٩٥).

هذا وقد أنكر نفاة الصفات نزول الرب سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا، وقالوا: المراد بالنزول هو نزول أمره أو رحمته.

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ على من أنكر صفة نزول الرب سبحانه، وتأوله على نزول أمره، أو نزول رحمته، أو نزول ملك، أو غير ذلك في "شرح حديث النزول" (ص١٣٨) وما بعدها، وبيّن بطلان هذه التأويلات الباطلة.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى معلقًا على حديث أبي هريرة «**يزول ربنا ...**» الحديث، كما في "مختصر العلو للعلي الغفار" للذهبي (ص١١٥-١١٦): اشتهر تأويل هذا الحديث عند نفاة الصفات، بأن المراد بالنزول نزول أمر الله تعالى ورحمته، ومع أن هذا التأويل باطل من وجوه، كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "شرح حديث النزول" من ذلك سياق الحديث؛ فإن قوله: «**أن الملك ...**» إلخ، صريح في أنَّ الله تعالى هو الذي ينزل.

وقال رَحِمَهُ اللهُ (ص٣٦): وقد سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول؟ فقال: ينزل أمره. فقال له السائل: فممن ينزل؟ إن عندك فوق العالم شيء، فممن ينزل الأمر؟ من العدم المحض. فبهت.

ومن أغرب التأويلات التي رأيتها لبعض النفاه قول الشيخ أبوزهرة في "المذاهب الإسلامية" (ص٣٢٥): ويصح أن يفسر النزول إلى السماء الدنيا بمعنى قرب حسابه تعالى. فعلى هذا التأويل فحساب الله يقرب كل ليلة، ثم لا حساب، فلا نزول حتى على هذا التأويل، وهكذا يكون التعطيل للنصوص، وإنكار معانيها الحقيقيه اللائقِة به تعالى.اهـ

فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ

يقرر الناظم رحمه الله تعالى عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، وهي أنهم يعتقدون أن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبوبكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، هذا بإجماع الأمة، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه على الصحيح الراجح، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما سيأتي.

قوله: وزيراه قدمًا.

أي: إن أبابكر الصديق، وعمر وزيرا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهما اللذين أعاناه، وناصراه، وآزراه منذ القِدَم، أي: منذ بداية الدعوة، وخاصة أبوبكر الصديق رضي الله عنه آزره، وناصره، وهاجر معه؛ فإنه لما هَمَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، خرج منهم مهاجرًا بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيران نحو المدينة، فجعل أبوبكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم أذى، فجعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسكنه ويثبته، ويقول: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**» والحديث في "البخاري" (٣٦٥٣)، و"مسلم" (٢٣٨١).

وجاءت أدلة كثيرة تبين فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما له من الفضل والسبق مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، منها:

١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**» رواه البخاري (٣٦٥٦).

٢) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ، فقال: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**»، فَبَكَى أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ، إِنْ يَكُنْ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ؟! فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ العَبْدَ، وَكَانَ أَبُوبَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**» أخرجه البخاري (٤٠٦٦)، واللفظ له، ومسلم (٢٣٨٢).

٣) ومن فضائله ما أخرجه البخاري (٣٦٦١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**»، فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «**يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلَاثًا. ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُوبَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**»، مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

٤) فأفضل هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر الصديق ﵁، فقد بوب الإمام البخاري في "صحيحه" فقال: باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، ثم قال (٣٦٥٥): حَدَّثَنَا عَبْدُالعَزِيزِ بْنُ عَبْدِالله، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﵃.

٥) وقال الإمام البخاري (٣٦٧١): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُويَعْلَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: أَبُوبَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ.

قال الطحاوي ﵀: ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصديق ﵁؛ تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة.[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ وغيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي ﵃، كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة.اهـ[2]

وقال الإمام أبومحمد المقدسي ﵀ في "لمعة الاعتقاد" (ص١٣٨): وأفضل أمته أبوبكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي ﵃ أجمعين.اهـ

---

(١) "شرح العقيدة الطحاوية" (ص ٤٧١).

(٢) "العقيدة الواسطية" ص (٢٤٢)شرح الهراس.

فتبين بهذا أن أبابكر الصديق ﷺ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، واسمه عبدالله بن عثمان بن عامر، وهو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وصاحبه في الهجرة، ونائبه في الصلاة.

وبعده أبوحفص الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، أمير المؤمنين، وخليفةُ خليفةِ رسول الله ﷺ.

❖ وقد جاءت أدله كثيرة في فضله ﷺ، منها:

١) ما أخرجه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِيهًا يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**».

٢) وأخرج البخاري (٣٦٨٩) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ؛ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ**».

٣) وعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**»، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، أَعَلَيْكَ أَغَارُ!. أخرجه البخاري (٣٦٧٩).

٤) وفي "البخاري" (٣٦٨٤) عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ.

وبعد عمر في الفضل أبوعبدالله ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهذا هو الذي استقر عليه أمر أهل السنة كما تقدم قول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن أهل السنة يثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم.

قال الهراس رحمه الله في "شرح الواسطية" (ص٢٤٤): فمذهب أهل السنة أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، وهم لهذا يفضلون عثمان على علي، محتجين بتقديم الصحابة عثمان في البيعة على علي رضي الله عنهما.اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: فأفضل هذه الأمة هؤلاء الأربعة: أبوبكر، ثم عمر، وهذا بالإجماع، ثم عثمان، ثم علي.[1]

(١) "شرح الواسطية" (١/ ٢٦٩).

فَضْلُ عُثْمانَ بن عفَّان رضي الله عنه

وقد أشار الناظم إلى هذا، وهو أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبوبكر، ثم عمر، بالإجماع، ثم عثمان على الراجح، فقال:

وَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيراهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ أرْجَحُ

❖ **وعثمان بن عفان رضي الله عنه له مناقب كثيرة، منها:**

١) ما أخرج البخاري في "صحيحه" (٧/ ٦٧) رقم (٣٦٩٥)، فقال: باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه، وقال النبي ﷺ: «**من يحفر بئر رومة فله الجنة؟**» فحفرها عثمان، وقال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة؟**» فجهزه عثمان، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَسَكَتَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ**»، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

٢) وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ. أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

٣) وقال الإمام البخاري رحمه الله (٣٦٩٨): حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُوعَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ هُوَ ابْنُ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، حَجَّ البَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ القَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنْ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ. قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ

فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**» فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**»، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

وأخرج ابن أبي عاصم في "السنة" برقم (١٣٢٧) عن عبدالله بن حواله قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «**تهجمون على رجل معتجر يبايع الناس من أهل الجنة**»، فهجمنا على عثمان بن عفان وهو يبايع الناس. والحديث صحيح.

فَضْلُ عَلِي بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَرابِعُهُـــم خَـــيْرُ البريَّـــةِ بَعْـــدَهُم   عَـلِيٌّ حَليـفُ الخَـيرِ، بـالخَيرِ مُـنْجِحُ

يبين الناظم رحمه الله أن رابع الصحابة في الفضل هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: (ورابعهم خير البرية)، أي: إنه خير الناس بعد أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم.

وقوله: البرية.

هم الخلق، مأخوذ من: برأ الله الخلق يبرؤهم، أي: خلقهم.[1]

وهذا هو معتقد أهل السنة: أن أفضل الصحابة بعد أبي بكر، وعمر، وعثمان هو علي بن أبي طالب، فهو رابعهم في الفضل، ورابعهم في الخلافة، وقد تقدم شيء من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك، ونذكره هنا كاملًا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله وهو يبين معتقد أهل السنة: ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبوبكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم، كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبوبكر وعمر، أيهما أفضل؟ وقدم قومٌ عثمان وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قومٌ عليًّا، وقومٌ توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي، وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها

---

(١) "القاموس المحيط" (١/ ٨).

مسألة الخلافة؛ وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبوبكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.[(١)] اهـ

❖ **وقد جاءت أدلة كثيرة في مناقب على بن أبي طالب، منها:**

١) ما جاء عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، أَوْ قَالَ: «**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّايَةَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ.[(٢)]

٢) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لعلي: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**».[(٣)]

٣) وعن حبشي بن جُنادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ**»، وفي رواية: «**لَا يَقْضِي عَنِّي دَيْنِي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ**» أخرجه أحمد (١٧٥٠٥) وهو صحيح.

٤) وقال النبي ﷺ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**» أخرجه الترمذي (٣٧٢٢) عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد وزيد بن أرقم رضي الله عنهما، وجاء عن جماعة من الصحابة، وهو صحيح.

٥) وجاء عند الإمام مسلم (٧٨) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**».

---

(١) "شرح الواسطية" (٢٤٢-٢٤٣).

(٢) الحديث عند البخاري (٢٩٧٥) ومسلم (٢٤٠٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤).

وقولهُ: بالخير مُنجِحُ.

هو من النجاح، وهو نيل المقصود والظفر به. وفي نسخة: (بالخير يُمنحُ) وفي نسخة: (بالخير مُمنح)، أي: يعطى الناس الخير ويمنحهم.

وأهل الشورى الذين أشار إليهم المقدسي رحمه الله تعالى هم علي، وعثمان، وسعد، وطلحة، والزبير، وقد جمعهم الشاعر بقوله:

علي وعثمان وسعد وطلحة ... زبير وذو عوف رجال المشورة

هم الذين قدموا عثمان على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، فيجب الاعتقاد بأن خلافة عثمان كانت صحيحة؛ لأنها كانت بمشورة الستة الذين عينهم عمر رضي الله عنه ليختاروا الخليفة من بعده، فمن زعم أن خلافة عثمان كانت باطلة، وأن عليًّا كان أحق بالخلافة منه، فهو مبتدع ضال يغلب عليه التشيع، مع ما في قوله من إزراء بالمهاجرين والأنصار.[1]

---

(١) "شرح الواسطية" للهراس ص (٢٤٤).

فَضْلُ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ الرَّاشِدِيْن

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وإنَّهُمُ و الرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيْهِمُ ... عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ

أي: إن هؤلاء الخلفاء الأربعة الذين سبق ذكرهم، والذين سيذكرهم في البيت التالي، هم الرهط المبشرون بالجنة، لا ريب في ذلك ولا شك أنهم سينالون الفضل من الله، وأن منزلتهم الجنة، والرهط هم من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة، وما فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه.[1]

وقوله: على نُجبِ الفردوس.

النُجب جمع نجيب، وهو: الكريم الحسيب، أي: الفاضل على مثله، النفيس في نوعه، ونجائب الإبل خيارها.[2]

والمراد: أنهم يسرحون في الجنة على النوق الكريمة، والخيل الكريمة، وقد جاء في "صحيح مسلم" (١٨٩٢) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ الله. فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**».

قال النووي رحمه الله عند شرح هذا الحديث: قيل: يحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة، ويحتمل أن يكون على ظاهره، ويكون له في الجنة بها سبعمائة، كل واحدةٍ منها

---

(١) "القاموس المحيط" (٢/ ٣٦١).

(٢) "القاموس المحيط" (١/ ١٣٠)، و"المعجم الوسيط" ص (٩١٠).

مخطومة يركبهن حيث شاء لتنزهٍ، كما جاء في خيل الجنة ونجبها، وهذا الاحتمال أظهر، والله أعلم.اهـ

قلت: والنووي رحمه الله يشير كما أشار الناظم، إلى أن في الجنة خيل كما جاء عند الترمذي رقم (٢٥٤٣)، وعند أحمد (٥/ ٣٥٢) عن بريدة بن الحصيب قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أُحِبُّ الخَيْلَ، فَفِي الجَنَّةِ خَيْلٌ؟ قَالَ: «**إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّةَ فَلَا تَشَاءُ أَنْ تَرْكَبَ فَرَسًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، تَطِيرُ بِكَ فِي أَيِّ الجَنَّةِ شِئْتَ إِلَّا رَكِبْتَ**»، وَأَتَاهُ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَفِي الجَنَّةِ إِبِلٌ؟ قَالَ: «**يَا عَبْدَ الله، إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّةَ كَانَ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ**».

وفي سنده: عبدالرحمن بن عبدالله المسعودي، وهو مختلط، لكن الحديث جاء مرسلًا صحيحًا ساقه الترمذي بسنده عقب الحديث، عن عبدالرحمن بن سابط، عن النبي ﷺ نحوه بمعناه، ثم قال: وهذا أصح من حديث المسعودي.

وله شواهد يشد بعضها بعضًا مع المرسل الصحيح، فيرتقي إلى الحسن والله أعلم، وانظر طرقه في "السلسلة الصحيحة" للألباني رحمه الله رقم (٣٠٠١).

قوله: الفردوس.

يشير رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري (٧٤٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**».

قولهُ: بالنور تسرح.

أي: يمن عليها من أهل النور والوضاءة والبهاء والحُسن، (وتسرح) أي: تذهب حيث شاء راكبها، وفي بعض النسخ: (في الخلد تسرح)، والخلد هي الجنة؛ لأنها دار النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول.[1]

(١) "التحفة السنية" للبدر (٦٠-٦١).

فَضْلُ العَشَرَةِ الْـمُبَشَّرِيْنَ بِالْجَنَّةِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

سَـعِيدٌ وسَـعْدٌ وابـنُ عَـوْفٍ وطَلْحـةٌ وعَـامِرُ فِهْـرٍ والـزُّبَيْرُ المُمَـدَّحُ

بعد أن أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى الرهط المبشرين بالجنة صرح بأسمائهم بعد أن ذكر الخلفاء الأربعة، أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، ثم ذكر هؤلاء الستة المذكورين في هذا البيت.

والدليل على بشارتهم بالجنة ما جاء في حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**أَبوبَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الجَنَّةِ**»، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ المَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ، يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ مَنْ التَّاسِعُ؟ قَالَ: نَاشَدْتُمُونِي بِاللهِ، وَاللهِ العَظِيمِ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم العَاشِرُ.

وفي بعض طرقة «أبوعبيده بن الجراح في الجنة»، وليس فيه: «رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة».

والحديث صحيح أخرجه أبوداوود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، وابن ماجة (١٣٣)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٤٦٥)، وغيرهم، وله طرق كثيرة يرتقي ببعضها إلى الصحيح لغيره، وذكره الشيخ الألباني رحمه الله في "صحيح الجامع" رقم (٥٠)، وجاء عن عبدالرحمن بن عوف عند الترمذي (٣٧٥٦).

وأما بشارة الخلفاء فقد جاءت في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الطويل عند البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣)، وقد ذكره البخاري مختصرًا برقم (٧٢٦٢): أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ**

بِالجَنَّةِ» فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَسَكَتَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ»، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

قوله: سعيد.

هو ابن عمرو بن نفيل العدوي، أبوالأعور، كان من السابقين إلى الإسلام، توفي بالعقيق سنه خمسين أو بعدها بسنة أو بسنتين، عن بضعٍ وسبعين سنة، روى له الجماعة. "السير" (١/ ١٢٤).

وقوله: وسعد.

هو ابن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبوإسحاق، أحد العشرة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور عن اثنين وثمانين سنة، ودفن بالمدينة، وهو آخر العشرة وفاةً، روى له الجماعة. "السير" (١/ ٩٢).

وقوله: وابن عوف.

هو عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أسلم قديمًا، ومناقبه شهيرة، ومات سنه اثنين وثلاثين سنة، وقيل غير ذلك، وعاش خمسًا وسبعين سنة، وقيل: اثنتان وسبعون سنة. ودفن في المدينة، روى له الجماعة. "السير" (١/ ٦٨).

قوله: وطلحة.

هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة التيمي، أبومحمد المدني من السابقين إلى الإسلام، مشهور استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين، وهو ابن ثلاثة وستين، روى له الجماعة. "السير" (١/ ٢٣).

قولهُ: وعامر فهرٍ.

هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن وهيب ابن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري، أبوعبيدة بن الجراح أحد العشرة، أسلم قديمًا، وشهد بدرًا، ، ومات شهيدًا بطاعون عمواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وخمسون سنة، روى له الجماعة. "السير" (١/ ٥).

قولهُ: والزبير.

هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب أبوعبدالله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل، روى له الجماعة. "السير" (١/ ٤١)

قولهُ: المُمَدحُ.

أي: صاحب المدائح الكثيرة، ولهؤلاء العشرة المدائح الكثيرة والفضائل الكبيرة، وأعظم مدح لهم أنهم بشُروا بالجنة.

وقد جمعهم الشاعر في قوله:

للمصطفى خير صحب نصَّ أنهمُ في جنة الخلد نصًّا زادهم شرفًا

هم طلحة وابن عوف والزبير مع أبي عبيدةُ والسعدين والخلفاء

والسعدان: هما سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهما.

قال الطحاوي رحمه الله: وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ، وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبوبكر، وعمر،

وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبوعبيدة ابن الجراح، وهو أمين هذه الأمة ﷺ أجمعين.اهـ[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في "الواسطية": ويشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة.[2]

وقال الإمام أبومحمد المقدسي رحمه الله: ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ، وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها، كقوله: «**والحسن والحسين سيدا شباب الجنة**»، وقوله لثابت بن قيس: «**إنه من أهل الجنة**».[3]

فهذا هو معتقد أهل السنة: أننا نشهد للعشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة غير العشرة، وإنما جمع هؤلاء العشرة؛ لأن النبي ﷺ جمعهم في حديث واحد.

✧ فممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة ثابت بن قيس، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، ودليل ذلك ما أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) واللفظ له، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَـمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ**﴾ [الحجرات:٢] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى**»، قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى. قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ

(١) "شرح الطحاوية" ص (٤٨٥ – ٤٨٦).

(٢) "الواسطية" ص (٢٤١) شرح الهراس.

(٣) "شرح لمعة الاعتقاد" ص (١٤٤) بتحقيق الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

الآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

✧ وممن بشر بالجنة الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وأمهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقد أخرج الإمام أحمد (٣/ ٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**» وأخرجه النسائي في "الخصائص" (ص١٥٠) وهو صحيح.

✧ وممن بشر بالجنة عكاشة بن محصن وعبدالله بن سلام رضي الله عنهما، أما عكاشة فدليل ذلك ما أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ ذكر أن سبعين ألفًا من أمته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وذكر أنهم لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن، فقال: أدع الله أن يجعلني منهم؟ فقال: «أنت منهم»، ثم قام آخر، فقال: أدع الله أن يجعلني منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**سبقك بها عكاشة**».

✧ وفي شأن عبدالله بن سلام رضي الله عنه ما أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣) عن سعد بن أبي وقاص قال: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِحَيٍّ يَمْشِي إِنَّهُ فِي الجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ. وعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الجَنَّةِ**» أخرجة الترمذي (١٠/ ٣٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٤٢) وحسنة شيخنا الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند".

وهناك آخرون من الصحابة شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، كخديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ،، وبلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ، وقد جاءت في ذلك الأدلة والله الموفق.

الصَّحَابَةُ لا يُذْكَرُونَ إلاَّ بِالجَمِيْلِ

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ولا تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ

أي: قُلِ الْقَولَ الحسن في جميع الصحابة، ولا تقتصر على بعض، هذا هو الذي ينبغي: أن تحبهم جميعًا، وأن تثني عليهم جميعًا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في "لاميته":

حب الصحابة كلهم لي مذهب ومودُة القربى بها أتوسل

وقال رَحِمَهُ اللهُ في "الواسطية": ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، وطاعة للنبي ﷺ في قوله: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».اهـ[١]

وقال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين، وإيمان، وإحسان، وبغضهم كفر، ونفاق، وطغيان.اهـ[٢]

(١) "شرح الواسطية" للهراس (٢٣٦) بتحقيق السقاف.

(٢) "شرح الطحاوية" ص (٤٦٧).

وقولهُ: الصحابة.

الصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردةٌ في الأصح.

والتعبير بـ(لَقِيَ) في تعريف الصحابي أولى من قول بعضهم: من رأى النبي ﷺ؛ لأنه يخرج حينئذ ابن أم مكتوم وهو مؤذن النبي ﷺ ونحوه من العميان، وهم صحابة بلا شك.

وقولنا: (مؤمنًا) في تعريف الصحابي يخرج من حصل له اللقاء المذكور لكن في حال كونه كافرًا.

وقولنا: (ومات على الإسلام) يخرج من ارتد بعد أن لقي النبي ﷺ كعبيد الله ابن جحش، وعبدالله بن خطل الذي قُتل وهو متعلق بأستار الكعبة.

وقولنا: (ولو تخللت ردة)، أي: بين لقيه له مؤمنًا به، وبين موته على الإسلام؛ فإن اسم الصحبة باق له، سواء رجع إلى الإسلام في حياته ﷺ أم بعده.

وقولنا (في الأصح) إشارة إلى الخلاف في المسألة، ويدل على رجحان الأول قصة الأشعث بن قيس؛ فإنه كان ممن ارتدوا وأُتي به إلى أبي بكر الصديق أسيرًا، فعاد إلى الإسلام فقبل منه ذلك وزوجه أخته، ولم يتخلف أحدٌ عن ذكره في الصحابة، ولا عن تخريج أحاديثه، فحديثه في الصحاح والمسانيد وغيرهما.

فهذا هو أصح التعاريف في تعريف الصحابي، كما قال ابن حجر في "الأصابة" (١/ ١٥٨): وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى

عنه أو لم يروِ، و من غزا معه أولم يغزُ، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يراه لعارض كالعمى.اهـ

ثم تكلم كلامًا طيبًا حول تعريف الصحابي فليرجع إليه.

وقوله: كلهم.

أي: أذكر جميع الصحابة بالخير، ولا تخص أحد دون أحد، وفي هذا رد على الروافض الذين غلوا في آل بيت رسول الله ﷺ، وطعنوا في أصحابه، وعلى النواصب الذين نصبوا العداء لأهل البيت، فكما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه صحابي فكذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه صحابي مع أنه لا شك ولا ريب أن علي أفضل من معاوية، لكن لا يجوز سب الصحابة أو بغضهم ألبتة، أو بغض بعضهم، كما سبق، والله المستعان.

قوله: ولا تك طعانًا.

أي: لا تكن طعانًا، وهنا حذفت الواو والنون من (تكون) لجواز ذلك في اللغة، وقد اشترط النحاة لجواز حذف آخرها خمسة شروط:

١) أن تكون بلفظ المضارع.   ٢) أن تكون مجزومة.

٣) أن لا تكون موقوفًا عليها.   ٤) ولا متصلة بضمير نصب.

٥) ولا بساكن.

وذلك كقوله تعالى في شأن مريم: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم:٢٠].[1]

---

(١) "شرح قطر الندى وبل الصدى" لابن هشام ص (١٩٢).

وقولهُ: طعَّانًا.

أي: وقَّاعًا في أعراض الناس بالذم والغيبة ونحوهما، وهو (فعال) من: طعن فيه وعليه بالقول، يطعن -بالفتح والضم- إذا عابه، ومنه الطعن في النسب.(١)

والمراد هنا: النهي عن الطعن في الصحابة، وليس المراد النهي عن المبالغة في الطعن؛ فإنه معلوم أن نفي المبالغة لا يستلزم نفي الفعل من أصله، وإنما المراد بنفي المبالغة في الطعن هنا نفي الطعن من أصله، ومنه قول النبي ﷺ: «**لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيءِ**».(٢)

ومعنى الحديث: أن المؤمن ليس بذي طعن، وليس بذي لعن، فإذا كان هذا مع عموم المسلمين كذلك؛ فإنه مع الصحابة من باب أولى؛ فإن الله سبحانه وتعالى زكاهم، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]؛ فإن المراد بنفي المبالغة في الآية المذكورة هو نفي الظلم من أصله، كما بينته آيات كثيرة.(٣)

والناظم رحمه الله يشير إلى تحريم الطعن في الصحابة، والنهي عن تجريحهم، وهو سبهم وشتمهم، وعن القدح فيهم، وقد جاءت الأدلة في النهي عن ذلك، منها:

✧ ما أخرجه البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

---

(١) من "النهاية" لابن الأثير (٤٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤١٦)، والبخاري في "الأدب المفرد" (١/ ٤١٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهو صحيح.

(٣) وللاستزاده انظر "أضواء البيان" للشنقيطي عند الآية المذكورة.

✧ وأخرجه مسلم (٥٢٤١)، ولفظه: قال: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

✧ وأخرج مسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

وهذا الحديث، وحديث أبي سعيد الذي قبله بوب لهما الإمام النووي: [باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم].

✧ وقال الإمام مسلم (٣٠٢٢): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُومُعَاوِيَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي، أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ.

✧ وأخرج ابن ماجة (١/ ٥٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ. وهو صحيح.

قال الإمام أحمد رحمه الله في "فضائل الصحابة": حدثنا وكيع، حدثنا جعفر - يعني ابن برقان - عن ميمون بن مهران قال: ثلاث ارفضوهن: سب أصحاب النبي ﷺ، والنظر في النجوم، والنظر في القدر. والأثر برقم (١٩)، وهو صحيح.

فَضْلُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ

يشير الناظم رحمه الله إلى ما جاء في القران الكريم من فضائل الصحابة رضي الله عنهم، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٤].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠]، فقوله سبحانه ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى﴾ يشمل جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين.

وقال الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٨-٩].

وقال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

قال شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله: هاتان الآيتان وإن كانتا تشملان الأمة كلهم؛ فإن الصحابة داخلون في هذا دخولًا أوليًّا؛ لأنهم المخاطبون بهذا.(١)

قال الإمام أبوبكر بن أبي شيبة (١٢/ ١٥٥): حدثنا عبدالرحيم بن سليمان، عن إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: الذين هاجروا مع محمد ﷺ إلى المدينة.(٢)

وقوله: في الفتح أي للصحابة تمدح.

يشير الناظم رحمه الله إلى ما جاء في [سورة الفتح] من الآيات في فضائل الصحابة، وأنها عديدة، ومنها قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩].

---

(١) "صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال" (١/ ٥).

(٢) وسنده حسن.

الإِيْمَانُ بِالقَدَرِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وبِالقَــدَرِ المقْــدُورِ أيْقِــنْ فإنَّــهُ   دِعَامَــةُ عقْــدِ الــدِّينِ والــدِّينُ أفْــيَحُ

يبين الناظم رحمه الله تعالى أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ودعامة من دعائم الدين، كما جاء في حديث جبريل الطويل، حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان؟ فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

فلا يقبل من عبدٍ إسلام حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**﴾ [الأحزاب:٣٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا**﴾[الفرقان:٢].

وقال تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الحجر:٢١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ**﴾ [المرسلات:٢٠-٢٣].

والقدر هو تقدير الله عز وجل الأشياء، وله أربع مراتب:

١) العلم   ٢) الخلق   ٣) والكتابة   ٤) والمشيئة.

جمعها الشاعر في قوله:

علــم كتابــة مولانــا مــشيئته   وخلقــه وهــو إيجــاد وتكــوين

ولكل مرتبةٍ أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، فالإيمان بالقدر خيره وشره من عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في "الواسطية": وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره.اهـ

✧ فالمرتبة الأولى: العلم.

وهو الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات، هذا العلم الذي هو صفة من صفاته تعالى الذاتية التي لا يزال متصفًا بها أزلًا وأبدًا، ومن ذلك علمه بأعمال الخلق من الطاعات والمعاصي، وعلمه بأحوالهم من الأرزاق والآجال وغيرها.(1)

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق:١٢].

وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ:٣].

وقال جل وعلا: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

✧ والمرتبة الثانية: هي الكتابة.

وهي أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فما يحدث شيء في الكون إلا وقد علمه وكتبه قبل حدوثه.(2)

---

(١) "شرح الواسطية" للفوزان ص (١٦٥).

(٢) المصدر السابق.

قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر:١١].

وقال سبحانه وتعالى في شأن موسى مع فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١-٥٢].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض بِخَمْسِينَ الفَ سَنَةٍ» قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ».[1]

وفي حديث علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنْ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً».[2]

ويدخل في هذه المرتبة أربعة من التقادير كلها ترجع إلى العلم:

✧ الأول: التقدير الأزلي، ودليله ما تقدم.

✧ الثاني: التقدير العمري، ودليله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾[الأعراف:١٧٢]، ومن التقدير

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٢) ومسلم (٢٦٤٧).

العمري ما جاء في حديث ابن مسعود قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ».(١)

✧ الثالث: التقدير الحولي، دليله قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان:٤-٥].

✧ الرابع: التقدير اليومي، دليله قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].(٢)

✧ **المرتبة الثالثة: المشيئة.**

وهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، أي أن نؤمن ونعتقد أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى.(٣)

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٤) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) "إعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة" للحافظ الحكمي ص (١٥٢ - ١٥٣).

(٣) "العقيدة الواسطية".

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الأنعام:١٢٥].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**».(١)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ».(٢)

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**».(٣)

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».(٤)

فهذه الأدلة تدل على إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى، ونبين هنا أن الإرادة تنقسم إلى قسمين:

١) إرادة كونية. ٢) إرادة شرعية.

✧ فالإرادة الكونية بمعنى المشيئة، ومثالها: قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ [هود:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٢) ومسلم (٢٦٢٧).

(٣) أخرجه أبوداود (٤٩٨٠) ورواه أحمد (٢٣١٥٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

✧ والإرادة الشرعية: بمعنى المحبة، ومثالها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧].

وتختلف الإرادتان في موجبهما، وفي متعلقهما، ففي المتعلق: الإرادة الكونية تتعلق فيما وقع، سواء أحبه الله سبحانه أم كرهه، والإرادة الشرعية تتعلق فيما أحبه، سواء وقع أم لم يقع.

وفي موجبهما: الإرادة الكونية يتعين فيها وقوع المراد، والإرادة الشرعية لا يتعين فيها وقوع المراد.(١)

✧ **المرتبة الرابعة: هي من مراتب الإيمان بالقدر، وهي مرتبة الخلق.**

أن نؤمن أن الله خالق الأشياء، وموجد لها، ودليلها قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

وقال سبحانه و تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣].

وقال سبحانه: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان:١١].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم:٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

---

(١) "شرح الواسطية" للشيخ ابن عثيمين (٢/ ٢٠٦).

الإِيمَانُ بِاليَوْمِ الآخِرِ

قال الناظم رحمه الله:

وَلا تُنْكِـرَنْ جَهـلًا نَكِـيرًا ومُنْكَـرًا وَلا الحَـوضَ والمِيـزانَ إنَّـكَ تُنْـصَحُ

يبين الناظم رحمه الله أن من أركان الإيمان، الإيمان باليوم الآخر، ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما يكون بعد الموت من فتنة القبر عندما يأتي الملكان فيسألان العبد، كما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ -لِمُحَمَّدٍ ﷺ-؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»[١].

وفي حديث البراء المشهور الطويل، وفيه: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ» هذا في حق المؤمن.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠).

أما في حق الكافر، فقال: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي».(١)

وقوله: نكيرًا ومنكرًا.

قد جاء ذكر منكر ونكير في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ، أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَالآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».(٢)

وأما الحوض ففيه أحاديث متواترة، منها:

أ) ما ثبت عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا».(٣)

---

(١) أخرجه بن أبي شيبه في "المصنف" (٣/ ٣٨٠)، وأبوداود (٤٧٥٣)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" لشيخنا رحمه الله.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧) وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢).

٢) ومنها قول النبي ﷺ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنْ اليَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنْ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»[1].

٣) وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي؟ فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[2].

وقال الشاعر:

مما تواتر حديث من كذب	ومن بنى لله بيتًا واحتسب
ورؤيةٌ شفاعةٌ والحوض	ومسح خفين وهذي بعض

فأدلة الحوض متواترة. وأما الميزان فقد جاءت أدلة تدل عليه من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

✧ قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

✧ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩].

✧ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٣].

ومن السنة:

١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ الله العَظِيمِ، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٠) ومسلم (٢٣٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٢) ومسلم (٢٣٠٤).

٢) وقال رسول الله ﷺ في ساقي عبدالله بن مسعود: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَـهُما أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ».(٢)

٣) وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».(٣)

٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ».(٤)

٥) وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «وَالمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ».(٥)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧]: الأكثر على أنه أنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه.اهـ

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١٣/ ٥٣٨) بعد أن ذكر الخلاف: والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا.انتهى المراد.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وذكره شيخنا رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤١١) وهذا لفظه ومسلم (٩٩٣).

(٥) أخرجه أحمد (١٧٦٣٠) وذكره شيخنا رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

واختلف في الموزون هل هو العمل، أم صاحبه؟ أم محله وهي الصحائف؟ وقد وردت الأدلة بهذه الأمور كلها، وأكثرها في وزن العمل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير [سورة الأعراف آية:٨-٩] بعد أن ذكر هذه الأمور الثلاثة وبعض أدلتها: وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محلها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم.

وقال ابن أبي العِز رَحِمَهُ اللهُ في "شرح الطحاوية" (ص٤١٩) بعد أن ذكر الأنواع الثلاثة وبعض أدلتها: فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال.اهـ

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف: أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه، لا بذات العامل، ولا بالصحيفة.

❖ **وهنا مسألة هل للميزان لسان وكفتان؟**

أما اللسان فلم يرد حديث مرفوع إلى النبي ﷺ، إنما ورد عن الحسن البصري من طريق عبدالملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان وكفتان.[1]

✧ وأما الكفتان فقد صح ذكرهما في حديث البطاقة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى**

(١) وهذا الأثر حسن، أخرجه ابن المنذر من طريق عبدالملك بن أبي سليمان، به، وجاء عن ابن عباس عند البيهقي في "شعب الإيمان" (١/ ٢٦٣)، واللالكائي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، بزيادة فيه. وقال السيوطي في "الدر المنثور" عند آية (٨-٩) من [سورة الأعراف]: أخرج أبوالشيخ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.اهـ

قلت: ومحمد بن السائب الكلبي كذاب، وأبوصالح هو مولى أم هانئ ضعيف.

رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ». (١)

✧ وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أيضًا مرفوعًا: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا ﷺ لَـمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». (٢)

✧ وصح عن سلمان رضي الله عنه من قوله: يوضع الميزان وله كفتان. (٣)

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجة (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، وهو صحيح، وذكره شيخنا رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

(٢) أخرجه أحمد (٦٥٨٣)، والبخاري في "الأدب المفرد" رقم (٥٤٨)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" رقم (١٨٦)، وذكره شيخنا في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١/ ٥٤٤).

(٣) رواه الالكائي (٢٢٠٨) والآجرى في "الشريعة" (٨٩٤).

الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ عُصَاةِ الْـمُوَحِّدِيْنَ مِنَ النَّارِ

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وقُــلْ يُخْــرِجُ اللهُ العَظِــيمُ بِفَــضلِهِ ... مِـن النـارِ أجْـسادًا مِـن الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

عَــلَى النَّهــرِ في الفِــردوسِ تَحْيـا بِمائِـهِ ... كَحَـبِّ حَمِيـلِ الـسَّيْلِ إذْ جَـاءَ يَطْفَـحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذين البيتين عقيدةَ أهل السنة والجماعة في إخراج عصاة الموحدين من النار، وهي أن الله يخرجهم من النار بعد ما احترقوا، فيوضعون في ماءٍ يقال له: ماء الحياة، فيحيون كما تحيا الحبة في حميل السيل، إذا حملها السيل وألقاها على جنبتيه، فتنبت بماء السيل، مثل الزرعة الصغيرة في جنب الوادي.

❖ **وقد جاءت أدلة تدل على ذلك، منها:**

١) عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ**»[(١)].

٢) وفي حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستأذن ربه في هذه الشفاعة أربع مرات، فيأذن له ويقول له بعد الأولى: «**أخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان**»، وبعد الثانية: «**أخرج من كان في قلبه ذرة أو خردلة من إيمان**»، وبعد الثالثة: «**أخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان**»، فيفعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يأمره الله في كل مرة، وفي الرابعة يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ائذن لي فيمن قال: لا**

---

(١) رواه البخاري (٦٥٦٦).

اله إلا الله، فيقول الله: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال: لا اله إلا الله...». الحديث.[١]

٣) وفي "البخاري" (٦٥٥٨) قال: حَدَّثَنَا أَبُوالنُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ**»[٢] قُلْتُ: مَا الثَّعَارِيرُ؟ قَالَ: «**الضَّغَابِيسُ**» وَكَانَ قَدْ سَقَطَ فَمُهُ، فَقُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَبَا مُحَمَّدٍ، سَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ مِنْ النَّارِ**»؟ قَالَ: نَعَمْ.[٣]

٤) وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو حديث طويل عند البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، وفيه: «**فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ، وَالمَلَائِكَةُ، وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمْ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُم الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُم: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**».

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٠) ومسلم تحت رقم (١٩٣).

(٢) في "النهاية": الثعارير هي القثاء الصغار، شبهوا بها لأن القثاء ينمي سريعًا، وقيل: هي رؤوس الطراثيث تكون بياضها، واحدتها طرثوث، وهو نبت يؤكل، وقال في تفسير الضغابيس: هي صغار القثاء، واحدها ضغبوس، وقيل: هي نبت ينبت في أصول الثمام يشبه الهليون، يسلق بالخل والزيت ويؤكل.اهـ

(٣) وأخرجه مسلم (١٩١).

فهم هؤلاء الموحدون الذين دخلوا النار بذنوبهم وخطاياهم، يعذبهم الله على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم إماته حقيقة، ثم يخرجون بالشفاعة، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بهم.

أما الكفار فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند مسلم (١٨٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ**[1]، **فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.

(١) الضبائر هم الجماعات في تفرقة، واحدتها ضبارة، مثل عمارة وعمائر، وكل مجتمع ضبارة. انتهى من "النهاية".

الشَّفَاعَةُ العُظْمَى وَهِيَ الْـمَقَامُ الْـمَحْمُودُ

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ القَبرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ

يشير الناظم رَحِمَهُ اللهُ إلى إثبات الشفاعة العظمى، وهي أن رسول الله ﷺ يشفع في عرصات يوم القيامة لأهل الموقف، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون، وقد وعده الله أن يبعثه إياه، كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الاسراء:٧٩]، فإذا طال عليهم الوقوف واشتد الكرب بهم، يأتي أهل المحشر يريدون من يشفع لهم، ويصرفهم عن هذا الموقف العصيب.

ودليل ذلك: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، وَقَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ القَوْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ. فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.**

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي

غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَـهُم إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَـهُم مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ.

فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَـهُم عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَيَأْتُونِّي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي.

ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ

أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الواسطية": وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات: **أما الشفاعة الأولى**: فيشفع في أهل الموقف حتى يُقضى بينهم، بعد أن يتراجع الأنبياء: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم عن الشفاعة، حتى تنتهي إليه ﷺ. **وأما الشفاعة الثانية**: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة. وهاتان الشفاعتان خاصتان له. **وأما الشفاعة الثالثة**: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصدقيين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.اهـ[(٢)]

فهذه ثلاث شفاعات ذكرها شيخ الاسلام رحمه الله:

✧ **الأولى**: الشفاعة العظمى، وقد تقدم ذكرها ودليلها.

✧ **الثانية**: الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، ودليلها ما جاء عند مسلم (١٩٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»، وفي رواية أخرى: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ**». وهاتان الشفاعتان خاصتان له ﷺ.

✧ **الثالثة**: الشفاعة في خروج عصاة الموحدين من النار، وتقدم ذكر أدلتها تحت البيت الذي قبل هذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

(٢) "الواسطية" (٢٠٢) بشرح الهراس.

وهناك شفاعات أخرى، وهي شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وهي خاصة به ﷺ، ودليلها حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»(١).

وجاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»(٢).

والضحضاح من الماء، واستعير في النار.

وشفاعته ﷺ في رفع درجات بعض أهل الجنة، كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وفيه: أن النبي ﷺ دعا لعمه أبي عامر ورفع يديه فقال: «**اللَّـهُم اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ**»، قال: ورأيت بياض إبطيه ﷺ، ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس**» فقلت: ولي استغفر، فقال: «**اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا**»(٣).

وحديث أم سلمة رضي الله عنها في موت أبي سلمة، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**اللَّـهُم اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»(٤)،

وشفاعته ﷺ لأناس يدخلون الجنة بغير حساب، كشفاعته لعكاشة بن محصن رضي الله عنه، والحديث أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٢١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨).

(٤) أخرجه مسلم (٩٢٠).

هذا ولا تحصل الشفاعة إلا بإذن الله، ورضاه عن الشافع والمشفوع، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم:٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥].

فائدة: تعريف الشفاعة.

الشفاعة لغة: اسم من شفع يشفع إذا جعل الشيء اثنين، والشفع ضد الوتر، قال تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر:٣].

وفي الاصطلاح: هي التوصل للغير لجلب منفعة أو دفع مضره.[1]

وقوله: وقل في عذاب القبر حق موضح.

أي: أيقن، واعتقد أن فتنة القبر، وعذاب القبر، ونعيمه حق لا شك فيه ولا ريب.

والأدلة على فتنة القبر كثيرة في الكتاب والسنة.

فمن القرآن:

١) قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

٢) وقال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح:٢٥].

٣) وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١].

---

(١) وقد كتب شيخنا الوادعي رحمه الله كتابًا قيمًا جدًا في الشفاعة، واقتصر فيه على الصحيح، يستفاد منه، وهو مطبوع ولله الحمد.

٤) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

ومن السنة:

١) ما جاء عن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»، وفي بعض طرقه: «إذا انصرفوا، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ -لِمُحَمَّدٍ ﷺ-؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».(١)

قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ. زاد مسلم: «سبعون ذراعًا، ويُمْلأ عليه خضرًا إلى يوم القيامة».(٢)

زاد البخاري: ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ».

٢) وفي حديث البراء بن عازب الطويل وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.(٣)

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨و ١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠).

(٢) رواه مسلم.

(٣) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤) وأبوداوود (٤٧٥٣).

٣) وفي حديث ابن عباس أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**».(١)

٤) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**».(٢)

٥) وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ بعد ما غربت الشمس، فسمع صوتًا، فقال: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**».(٣)

٦) وفي "البخاري" (١٣٧٧) و"مسلم" (٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «**اللَّـهُم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»، هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّـهُم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

وهناك أدلة كثيرة تدل على فتنة القبر، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيذنا من عذاب القبر، إنه رؤوف رحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨) ومسلم (٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٥) ومسلم (٢٨٦٩).

عَقِيْدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي أَهْلِ الْـمَعَاصِي

قال الناظم رحمه الله تعالى:

ولا تُكَفِّـرَنَّ أهـلَ الـصَّلاةِ وإنْ عَـصَوا　　فكلُّهُـمُ يَعْـصِي وذُو العَـرشِ يَـصْفَحُ

يقرر الناظم رحمه الله تعالى عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون المصلين وإن عصوا؛ فإنهم من أهل القبلة، وأهل القبلة هم المسلمون وإن كانوا عصاة؛ لأنهم يستقبلون قبلة واحدة، وهي الكعبة، بخلاف الخوارج؛ فإنهم يكفرون المسلمين بمطلق المعاصي والكبائر التي هي دون الشرك والكفر.

فمعنى كلام الناظم: لا تعتقد كفر المصلين وإن وقعوا في معاصي أو كبائر دون الشرك والكفر، فقد جاء من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَنْ صَلَّى صَلاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ»**.[1]

وفي الرواية الأخرى: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله»**.[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الواسطية" مبينًا عقيدة أهل السنة: وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأُخُوَّة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ

(١) أخرجه البخاري (٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٢).

﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩].اهـ

وتأمل قول شيخ الإسلام رحمه الله (بمطلق المعاصي)، ولم يقل: بالمعاصي والكبائر؛ لأن المعاصي منها ما يكون كفرًا، وأما مطلق المعصية فلا يكون كفرًا.

والفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء: أن الشيء المطلق يعني الكمال، ومطلق الشيء يعنى أصل الشيء، فالمؤمن الفاعل للكبيرة عنده مطلق الإيمان فأصل الإيمان موجود عنده، لكن كماله مفقودًا.[1]

قال الطحاوي رحمه الله: ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.اهـ[2]

فمعنى هذا أن الذنب إذا لم يكن كفرًا أو شركًا مخرجًا من الملة فإننا لا نكفر به المسلم، بل نعتقد أنه مؤمن ناقص الإيمان، معرض للوعيد، وتحت المشيئة ما لم يستحله، فإذا استحل ما حرم الله؛ فإنه يكفر، والله أعلم.

وقوله: ولا تكفرن أهل الصلاة وان عصوا.

أشار الناظم رحمه الله إلى كفر تارك الصلاة، وقد جاءت أدلة تدل على كفر تارك الصلاة، منها:

- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥]، ففي هذه الآية دليل على أن تارك الصلاة يُستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

---

(١) "شرح الواسطية" للشيخ ابن عثيمين ص (٥٨٠). ط دار الثريا.

(٢) "شرح الطحاوية" ص (٣١٦) بتحقيق الشيخ الألباني.

✧ وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١].

✧ وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

ومن السنة:

١) ما جا من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»[١].

٢) ومنها حديث بريده بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[٢].

٣) وفي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَـهُم، إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله»[٣].

٤) وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ العُقَيْلِيِّ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ.[٤]

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٤)، وابن ماجة (١٠٧٩)، وأحمد (٥/٣٤٦)، وهو صحيح ذكره شيخنا في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

(٣) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢) والحاكم (١٢).

وقولهُ: وإن عصوا.

أي: لا تكفر أهل الصلاة وإن ارتكبوا معاصي، سواءً كانت كبيرة أو صغيرة ما دامت لا تصل إلى حد الشرك أو الكفر، فهذا معتقد أهل السنة والجماعة كما تقدم.

وقولهُ: فكلهم يعصي.

يشير رَحِمَهُ اللهُ إلى أن الناس يقعون في معاصي ولكنهم بين مستقل ومستكثر، ولا يسلم أحد من الوقوع في الأخطاء إلا من عصمه الله تبارك وتعالى، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك كما في حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَـهُم**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَـهُم**»[(٢)].

وجاء عند الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»، لكنه من طريق علي بن مسعدة الباهلي، قال البخاري: فيه نظر كما في "الميزان".

وقولهُ: وذو العرش يصفح.

أي: صاحب العرش يعفو ويغفر ويصفح لمن تاب وأناب، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [الزمر:٥٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

قال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه.اهـ

وقال رحمه الله: ولا يَقْنَطَن عبدٌ من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت؛ فإنَّ باب التوبة والرحمة مفتوح واسع، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة:١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠]، وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦]، وقال جل جلاله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣]. ثم قال جَلَّت عظمته: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ [البروج:١٠]، قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.اهـ

وأما العرش فله أدلته من الكتاب والسُنة بأنه حق.

فمن الكتاب:

- قال الله في كتابه الكريم: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٥-١٦].
- وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].
- وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤]، وهذه الآية جاءت في أكثر من آية من القران.

✧ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النمل:٢٦].

✧ وقال جَلَّت عظمته: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر:٧].

✧ وقال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧].

✧ وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الزمر:٧٥].

ومن السنة:

١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**»[1].

٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»[2].

٣) وللعرش قوائم كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: «**لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ؟**»[3].

٤) والعرش هو سقف المخلوقات، وأضيف إلى الله تعالى إضافة تشريف؛ لأنه عرش عظيم، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الله مستوى على عرشه استواء يليق بجلاله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ولا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦) ومسلم (٢٧٠٣).

(٢) أخرجه البخاري(٧٤٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٣٨) ومسلم (٢٣٧٣).

عبرة بأهل البدع والأهواء الذين أوّلوا الاستواء تأويلًا فاسدًا بمعنى الاستيلاء، ولا عبرة أيضًا بأهل الكلام الذين يأولون العرش بتأويلات فاسدة باطلة، فلا يُعبأ بهم، والله المستعان.

ذمُّ الخوارج ومَنْ شاكَلهم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ إنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

يحذر الناظم رحمه الله من رأي الخوارج، والخوارج هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وحذر منهم، فقد جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «دَعْهُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ وَهُوَ قِدْحُهُ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُم وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذِي نَعَتَهُ»[1].

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠) ومسلم برقم (١٠٦٤).

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُم أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُم يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(١)].

وقال فيهم النبي ﷺ: «**كِلَابُ النَّارِ، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ**»[(٢)].

فالخوارج فرقه ضالة، ومن عقائدهم الفاسدة أن مرتكب الكبيرة عندهم كافر، ويخلد في النار، فهم يكفرون أيَّ مسلم يرتكب معصية؛ ولذلك كفروا المسلمين، واستباحوا دمائهم وأموالهم.

ومن عقائدهم الفاسدة:

- أنهم يرون وجوب الخروج على أئمة المسلمين لارتكاب الفسق أو الظلم.
- ومنها: إنكار الشفاعة لعصاة المسلمين، ومنها تكفير بعض الصحابة كأهل التحكيم، وأصحاب الجمل، ومنها نفي رؤية الله في الآخرة ... إلى آخر عقائدهم الفاسدة الكاسدة.

ولهم أسماء عديدة، منها: الإباضية أتباع عبدالله ابن إباض، ولهم وجود الآن في عُمان، والخوارج يعرفون في هذه الأيام بجماعة التكفير والهجرة، خرجت من مصر، وانتشرت إلى بعض الأقطار.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١) ومسلم (١٠٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٨/ ٣٥١)، وابن ماجة (١/ ٦٢)، وهو صحيح عن أبي أمامة الباهلي ﷺ.

قال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد نبغت في هذا الزمان جماعة التكفير، وهي تعتنق مذهب الخوارج، ظهرت بمصر، ثم امتدت إلى جميع الأقطار الإسلامية، ولكنها الآن أصبحت خاملة غير متبعة، بسبب تفقه الشباب في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.[١]

فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحذر من طريقة الخوارج التي هي من طرق أهل الأهواء، قال تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣٢].

وقد أخبر النبي ﷺ بتفرقهم فقال: «**افْتَرَقَتْ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتْ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**».[٢]

وحذر منهم النبي ﷺ كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: تَلَا رَسُولُ الله ﷺ ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**».[٣]

---

(١) "الصحيح المسند من دلائل النبوة" (٥٩٥-٥٩٦).

(٢) أخرجه أبوداوود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٢)، وابن ماجة (٣٩٩١)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

وقولهُ: إنه مقال لمن يهواه يردي ويفضح.

أي: إن رأي الخوارج وطريقتهم هوى، يهوي بمن سار على طريقهم ويرديه ويوقعه في الهاوية، ويفضحه ويخزيه، فيبوء بالخزي والخسران، والعياذ بالله، وقد كان رسول الله ﷺ يدعو: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء، والأداوء**».[1]

وأهل السنة -ولله الحمد- بُرَآء من رأي الخوارج، بل إنهم من أشد الناس تحذيرًا من عقيدة الخوارج الضالة.

(١) أخرجه الطبراني في "الدعاء" (٣ / ١٤٤٧) وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا رَحِمَهُ اللهُ.

ذَمُّ الْـمُرْجِئَةِ وَمَنْ شَاكَلَهُم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

ولا تَـكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ ... ألا إنَّما المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ

يحذر الناظم رحمه الله من المرجئة، وهي من الفرق الضالة.

والمرجئة: اسم فاعل من أرجا بمعنى أخر، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف:١١١]، وفي قراءة: (أرجئه) أي أخره، وأخر أمره.

وسموا مرجئة إما من الرجاء؛ لتغليبهم أدلة الرجاء على أدلة الوعيد، وإما من الإرجاء بمعنى التأخير؛ لتأخيرهم الأعمال عن مسمى الإيمان؛ ولهذا يقولون: الأعمال ليست من الإيمان، والإيمان هو الاعتراف بالقلب فقط. ويقولون: إن فاعل الكبيرة كالزاني، والسارق، وشارب الخمر، وقاطع الطريق لا يستحق دخول النار، لا دخولًا مؤبدًا ولا مؤقتًا، فلا يضر مع الإيمان معصية، مهما كانت صغيره أم كبيرة، إذا لم تصل إلى حد الكفر.اهـ[١]

إذًا فالمرجئة نسبة إلى الإرجاء وهو التأخير؛ سموا بذلك لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فعندهم أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان غير معرض للوعيد، فهم تساهلوا في الحكم على العاصي، وأفرطوا في التساهل حتى زعموا أن المعاصي لا تنقص الإيمان، ولا يحكم على مرتكب الكبيرة بالفسق.اهـ[٢]

---

(١) "شرح الواسطية" للشيخ ابن عثيمين رحمة الله (٤٤٢ - ٤٤٣) ط – دار الثريا.

(٢) "شرح الواسطية" للفوزان (١٢٧).

فخلاصة أمر المرجئة: أنهم تساهلوا في مرتكب الكبيرة، حتى جعلوه كامل الإيمان، واتخذوا دينهم لعبًا، قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام:٧٠].

وقابل المرجئةَ الخوارجُ، فحكموا على مرتكب الكبيرة بالكفر، وأنه مخلد في النار، وقالت المعتزلة: إنه ليس بمسلم ولا كافر، أي: إنه في منزلة بين المنزلتين، لكنهم اتفقوا مع الخوارج في أنه مخلد في النار، والمذهب الحق هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ فإنهم توسطوا بين الفريقين، فقالوا: إن العاصي لا يخرج من الإيمان لمجرد المعصية، وهو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه في النار، لكنه لا يخلد فيها كما تقول الخوارج والمعتزلة، والمعاصي تنقص الإيمان، ويستحق صاحبها دخول النار، إلا أن يعفوا الله عنه، ومرتكب الكبيرة يكون فاسقًا ناقص الإيمان، لا كما تقول المرجئة: إنه كامل الإيمان.[1]

بقي أن يعلم أن الجهمية مرجئة؛ فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية؛ لأن الإيمان عندهم تصديق القلب، والكرامية مرجئة؛ لأنهم يقولون: الإيمان هو النطق باللسان فقط، وعلى هذا فالمنافقين الذين ينطقون باللسان ويكذبون بالقلب عندهم مؤمنون.

أما أهل السنة فقد منَّ اللهُ عليهم فجعلهم الأمة الوسط العدل، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: عدولًا خيارًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: الوسط الخيار والأجود، فأهل السنة هم وسط بين هذا الفرق الضالة والحمد لله.اهـ

---

(١) "شرح الواسطية" للفوزان (١٢٧).

قولهُ: ألا إنما المرجئ بالدين يمزح.

بين الناظم رَحِمَهُ اللهُ أن المرجئة اتخذوا دينهم لعبًا ومزحًا، فالمرجئ جعل دينه لعبًا ومزاحًا، لا يبالي به ولا يبالي بالاعتناء به، والله المستعان.

عَقِيْدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي الإِيْمَان

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وقُــلْ إنَّــما الإيــمانُ قَــوْلٌ ونيَّــةٌ وفعْــلٌ عَــلَى قَــولِ النبــيِّ مُــصَرَّحُ

يبين الناظم رحمه الله عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان، أنه قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوراح، هذا هو الحق في تعريف الإيمان.

والدليل على أن الإيمان قول وعمل: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣] يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، سمى الصلاة كلها إيمانًا، وهي جامعة لعمل القلب واللسان والجوارح.

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[الأعراف:١٥٨].

وهذا معنى الشهادتين اللتين لا يدخل العبد في الدين إلا بهما، وهي من عمل القلب اعتقادًا، ومن عمل اللسان نطقًا، لا تنفع إلا بتواطئهما.

وجعل النبي ﷺ صيامَ رمضان وقيامَه إيمانًا، وجعل أداء الخُمُس من الإيمان، كما في حديث وفد عبد القيس، أن النبي ﷺ أَمَرَهُم بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُم عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِالله وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ المَغْنَمِ الخُمُسَ».[1]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فدل هذا على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وليست بشيء زائد عن الإيمان، فمن اقتصر على القول باللسان والتصديق بالقلب دون العمل؛ فليس من أهل الإيمان الصحيح، فهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، الاعتقاد الصحيح: أن الإيمان قولٌ باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، ويزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وأما الفِرقُ الضالة فقد ضلت في تعريف الإيمان.

- فالإيمان عند المرجئة: الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.
- وذهب أبومنصور الماتوريدي إلى أن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي كالتصديق.
- وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو: الإقرار باللسان فقط، فالمنافقين عندهم مؤمنون كاملوا الإيمان، لكن يقولون: بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به، وقولهم ظاهر الفساد.
- وذهب الجهم بن صفوان وأبوالحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية إلى أن الإيمان هو: المعرفة بالقلب، وهذا القول أظهر فسادًا مما قبله، فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ولم يؤمنوا بهما؛ ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الاسراء:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبنائهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به معادين له، وكذلك أبوطالب عنده يكون مؤمنًا؛ فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحًا بذاك يقينا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنًا كامل الإيمان؛ فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر:٣٦/ ص٧٩]، وقال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢].

والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه؛ فإنه جعله الوجود المطلق وسلب عنه جميع صفاته، ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافرًا بشهادته على نفسه.[١]

✧ والإيمان عند الأشاعرة هو التصديق.[٢]

• والتعريف الصحيح للإيمان هو تعريف أهل السنة والجماعة، فهو التعريف المأخوذ من الكتاب والسنة، وبالله التوفيق.

---

(١) انظر "شرح العقيدة الطحاوية" (٣٣٢) بتحقيق الشيخ الألباني.

(٢) كما في "فتح المجيد" عند باب قول الله تعالى: (ألم ترى إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما نزل إليك وما أنزل من قبلك).

الإِيْمَانُ يَزِيْدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْـمَعْصِيَةِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَيَـــنْقُصُ طَـــوْرًا بالمعَـــاصِي وَتَـــارَةً بطَاعَتِـــهِ يَنْمِـــي وفي الـــوَزنِ يَـــرْجَحُ

يقرر الناظم رحمه الله في هذا البيت أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فقوله (وينقص طورًا)، أي: تارة ينقص الإيمان بالمعاصي، وتارة يزيد بالطاعة، كما قال الناظم رحمه الله.

وقوله: بطاعته ينمى.

أي: يزيد، والنماء هو الزيادة.

وقوله: وفي الوزن يرجح.

أي: يثقل.

❖ والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه كثيرة، منها:

✧ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

✧ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤].

✧ وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

✧ وقوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

✧ وقوله جَلَّ جلاله: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[المدثر:٣١].

❖ **ومن الأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه:**

١) ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ**».(١)

٢) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**».(٢)

٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».(٣)

٤) وعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ القُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا القُرْآنَ؛ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا.(٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) أخرجه ابن ماجة (١/ ٢٣)، وذكره شيخنا الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس من الصحيحين".

ذَمُّ الرَّأْيِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أزكى وَأَشْرَحُ

يحذر الناظم رحمه الله من آراء الرجال، ويحث على الأخذ بقول رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ ينكر على من عارض حديثه بالرأي والاستحسان، فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَضَى أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ. فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ[1]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ**».[2]

وفي "مسلم" زيادة بعد قوله: «**إنما هذا من إخوان الكهان من أجل سجعه الذي سجع**».

وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: ضَرَبَتْ امْرَأَةٌ ضَرَّتَهَا بِعَمُودِ فُسْطَاطٍ وَهِيَ حُبْلَى فَقَتَلَتْهَا، قَالَ: وَإِحْدَاهُمَا لِحْيَانِيَّةٌ، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِيَةَ الْمَقْتُولَةِ عَلَى عَصَبَةِ الْقَاتِلَةِ، وَغُرَّةً لِمَا فِي بَطْنِهَا. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَصَبَةِ الْقَاتِلَةِ: أَنَغْرَمُ دِيَةَ مَنْ لَا أَكَلَ، وَلَا شَرِبَ، وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الأَعْرَابِ**».[3]

---

(١) يطل: أي يهدر، كما في "فتح الباري".

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٨) ومسلم (١٦٨١).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٨٢) والنسائي (٤٨٣٧).

فأنت ترى أن رسول الله ﷺ أنكر عليه معارضته لحديثه برأيه، وقال: «**إنما هذا من إخوان الكهان من أجل سجعه**».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ، فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ».[1]

وقد جاءت أدله أخرى في ذم الرأي والإنكار على من خالف النصوص لرأيه، وإثم من سن الرأي والبدع، وكان النبي ﷺ يعلم أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل.

وأما الآثار عن السلف في ذم الرأي فأكثر من أن تحصر، ولكن نذكر بعضها:

١) فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ، لَكَانَ أَسْفَلُ الخُفِّ أَوْلَى بِالمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ.[2]

٢) وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة؟ فقال: يروى فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ. فقال له السائل: يا أباعبدالله، ما تقول فيه؟ فرأيت الشافعي أرعد وانتفض، وقال: ما هذا؟ أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا رويت عن النبي ﷺ حديثًا فلم أقل به؟ نعم على السمع والبصر، نعم على السمع والبصر.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٠٧) ومسلم (٢٦٧٣) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه أبوداوود (١/ ٦٣) وهو صحيح.

٣) وقال الربيع: سمعت الشافعي وقد روى حديثًا، وقال له بعض من حضر: تأخذ بهذا؟ فقال: إذا رويت عن النبي ﷺ حديثًا صحيحًا فلم أخذ به فأنا أشهد كم أن عقلي قد ذهب، ومد يديه.(١)

٤) وقال الإمام الاوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك.(٢)

٥) وقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب في كراهية أخذ الرأي: أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا مالك هو ابن مغول، قال: قال لي الشعبي: ما حدثوك هؤلاء عن رسول الله ﷺ فخذ به، وما قالوا برأيهم فألقه في الحش.(٣)

فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحث على الأخذ بسنة رسول الله ﷺ، وترك الرأي؛ فإن اتباع سنة رسول الله ﷺ هداية، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤].

واتباع سنة رسول الله ﷺ تزكية للقلوب، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]، فاتباع سنة رسول الله ﷺ أزكى للقلوب وأشرح للصدور.

---

(١) أخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١/ ١٥٠)، والبيهقي في "مناقب الشافعي" (١/ ٤٧٤ –٩٧٥)، وأبونعيم في "الحلية" (٩/ ١٠٦) نقلاً عن "شرعية الصلاة في النعال" لشيخنا الوادعي ص (٣٥).

(٢) أخرجه الآجري في "الشريعة" أثر رقم (١٢٧) وهو صحيح.

(٣) "مقدمة سنن الدارمي" (١/ ٧٢) أثر رقم (٢٠٤).

عَلامَةُ أَهْلِ البِدَعِ الْوَقِيْعَةُ فِي أَهْلِ الْحَدِيْثِ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَلا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهم ... فَتَطْعَنَ في أهلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ

يحذر الناظم من أهل البدع والأهواء الذين يلهون بدينهم، أي: اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالبعد والإعراض عن أهل الأهواء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [النجم:٢٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [الأنعام:٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨]، وقال سبحانه: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:١١٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال أبوجعفر الباقر: لا تجالسوا أهل الخصومات؛ فإنهم الذين يخوضون في آيات الله.[1]

وكان محمد بن سيرين يرى أن هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ نزلت في أهل الأهواء.[2]

---

(١) أخرجه الدارمي في "مقدمة سننه" أثر رقم (٤٠٦)، وانظر "تفسير الطبري" عند الآيه المذكورة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣١٤).

وجاء عن النبي ﷺ التحذير من أهل الأهواء والبدع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ**»، وفي رواية: «**لا يضلونكم ولا يفتنونكم**».(١)

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ الله ﷺ هَذِهِ الآية: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [آل عمران:٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**».(٢)

قال المفسر ابن جرير الطبري رحمه الله عند هذه الآية: بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع في دينه، بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمدًا ﷺ، بتأويل يتأوله من بعض آي القرآن المحتملة التأويلات، وإن كان الله قد أحكم بيان ذلك، إما في كتابه، وإما على لسان رسول الله ﷺ.اهـ(٣)

وقال القرطبي رحمه الله عند تفسير هذه الآية: وهذه الآية تعم كل طائفة من كافر، وزنديق، وجاهل، وصاحب بدعة، وإن كانت الإشارة بها في ذلك الوقت إلى نصارى نجران. وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**﴾ إن لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج، فلا أدري من هم؟اهـ(٤)

---

(١) أخرجه مسلم في "مقدمة صحيحه" رقم (٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٦٧١٧).

(٣) "تفسير الطبري" (٣/ ١٧٧).

(٤) "تفسير القرطبي" (٤/ ١٢).

وقال الشوكاني رحمه الله في "فتح القدير" عنده هذه الآية: وهذه الآية تعم كل طائفة من الطوائف الخارجة عن الحق.اهـ

وقال الإمام النووي رحمه الله عند هذا الحديث -حديث عائشة رضي الله عنها-: وفي الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ وأهل البدع، ومن يتبع المشكلات للفتنة.اهـ[1]

وحذر رسول الله ﷺ من الخوارج المبتدعة، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ**».[2]

وجاء عن السلف رحمهم الله التحذير الشديد من أهل الأهواء، فمن ذلك:

1) قول ابن عباس رضي الله عنهما: لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلوب.[3]
2) وقال أبوقلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.[4]
3) وقال الحسن البصري، ومحمد بن سيرين: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم.[5]

---

(١) "شرح مسلم" (١٦/ ٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٨) ومسلم (١٠٦٤).

(٣) أخرجه الآجري في "الشريعة" رقم (١٣٣) فهو حسن.

(٤) أخرجه الدارمي في "المقدمة" أثر (٤٠٥)، والآجري في "الشريعة" (١١٤)، اللالكائي (٢٤٣ – ١٤٤).

(٥) أخرجه الدارمي في "المقدمة" رقم (٤١٥).

وهذه الآثار تؤيد قول الناظم: (ولا تك من قوم تلهوا بدينهم)، فبعد أن حذر الناظم من أهل الأهواء وأشار إلى أن من علامات أهل البدع والأهواء الطعن في أهل الحديث والقدح فيهم، قال رَحِمَهُ اللهُ: (فتطعن في أهل الحديث وتقدح).

وهذه علامة واضحة بارزة أن من علامات أهل البدع الطعن في أهل الحديث والأثر، وقد كان السلف يرون الطعن على أهل السنة من علامات أهل الضلال والبدع، بل يعتبرون الرجل مبتدعًا بمجرد طعنه في أهل السنة.

قال أبوحاتم الرازي رَحِمَهُ اللهُ: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر.(١)

وقال أبوعثمان الصابوني رَحِمَهُ اللهُ(٢): وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، واستخفافهم بهم. اهـ(٣)

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة؛ فاتهمه على الإسلام؛ فإنه كان شديدًا على المبتدعة.(٤)

وقال أبوزرعة رَحِمَهُ اللهُ: إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة فلا تشك أنه رافضي، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي فلا تشك أنه

---

(١) "أصول السنة" للالكائي (١/ ١٧٩).

(٢) هو الشيخ الإمام أبوعثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني النيسابوري الشافعي الواعظ المفسر الناظم أحد الإعلام، كان إمامًا حافظًا عمدةً مقدمًا في الوعظ والأدب، توفي في صفر سنة ٤٤٩هـ انظر "شذارات الذهب" لابن عماد الحنبلي (٣/ ٢٨٢).

(٣) "عقيدة السلف" (٣٠٨) بشرح الشيخ الفاضل ربيع بن هادي المدخلي حفظة الله.

(٤) "سير أعلام النبلاء" (٧/ ٤٥٠).

مرجئ، واعلم أن هذه الطوائف كلها مجمعة على بغض أحمد بن حنبل؛ لأنه ما من أحد إلا وفي قلبه منه سهم لا برء له.[١]

وقال نعيم بن حماد رحمه الله: إذا رأيت العراقي يتكلم في أحمد بن حنبل فاتهمه في دينه، وإذا رأيت البصري يتكلم في وهب بن جرير فاتهمه في دينه، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه.[٢]

وقال أبوجعفر محمد بن هارون المخرمي المعروف بالفلاس رحمه الله: إذا رأيت الرجل يقع في أحمد بن حنبل فاعلم أنه مبتدع ضال.[٣]

قال أبوحاتم الرازي رحمه الله: إذا رأيت الرجل وغيره يبغض أبازرعة فاعلم أنه مبتدع.[٤]

وقال السفاريني رحمه الله: لسنا بصدد ذكر مناقب أهل الحديث؛ فإن مناقبهم شهيرة، ومآثرهم كبيرة، وفضائلهم غزيرة، فمن انتقصهم فهو خسيس ناقص، ومن أبغضهم فهو من حزب إبليس ناكص.[٥]

---

(١) "طبقة الحنابلة" (١/ ١٩٩ – ٢٠٠).

(٢) "تاريخ بغداد" (٦/ ٣٤٨)، و"تاريخ دمشق" (٨/ ١٣٢).

(٣) "مقدمة الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٥٦)، و"تاريخ دمشق" (٥/ ٢٩٤).

(٤) "تاريخ بغداد" (١٠/ ٣٢٨)، و"تاريخ دمشق" (٣٨/ ٣١).

(٥) "لوائح الأنوار" (٢/ ٣٥٥).

أَهَمِّيَّةُ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ وَفَضَائِلِهَا

قال الناظم رحمه الله تعالى:

إذا مَا اعتقَدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه   فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

يبين الناظم رحمه الله أهمية هذه العقيدة الصحيحة السليمة، وهي ما ذكره في قصيدته؛ فإنه ذكر فيها أهم أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، فقال: (إذا ما اعتقدت الدهر)، أي: إذا اعتقدت، فـ(ما) هنا زائدة؛ لأن (ما) إذا جاءت بعد (إذا) فهي زائدة، قال الشاعر:

يا طالبًا خذ فائدة   بعد إذا ما زائدة

والعقيدة: هي ما يعقد عليه المرء قلبه، تقول: اعتقدت كذا، أي: عقدت عليه القلب والضمير، وأصله مأخوذ من عقد الحبل إذا ربطه، ثم استعمل في عقيدة القلب وتصميمه الجازم.(١)

فمعنى كلام الناظم: إذا اعتقدت يا صاحبي هذه العقيدة، فأنت على خير حين تبيت وحين تصبح؛ لأن العقيدة السليمة تنفع صاحبها، وتقبل معها الأعمال، ويعيش المسلم في حياة طيبة وسعيدة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

والعقيدة السليمة الصحيحة تعصم الدم والمال في الدنيا، وتحرم الاعتداء عليهما وانتهاكها بغير حق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ».(٢)

---

(١) "شرح الواسطية" للفوزان (٩).

(٢) رواه مسلم (٢١) عن جابر بن عبدالله.

والعقيدة السليمة تنجي صاحبها من عذاب الله يوم القيامة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**».(١)

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**».(٢)

والعقيدة الصحيحة السليمة يكفر الله بها الخطايا، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**».(٣)

فسلامة العقيدة من الشرك كثيره وقليله، وصغيره وكبيره، هي شرط حصول المغفرة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا**﴾ [النساء:١١٦].

وصاحب هذه العقيدة السليمة هو صاحب القلب السليم، الذي قال الله فيه: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

تمت مراجعتها في يوم الأحد الرابع من شهر شعبان لعام (١٤٣٠) من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليمًا مزيدًا

(١) رواه مسلم (٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥) ومسلم (٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٨٧).

الفهرس الموضوعي